# من أسرار اسم المفعول في القرآن الكريم
## (دراسة بلاغية)

د/ عادل محمد الأكرت *

## ملخص

يقع البحث في دائرة قضية الإعجاز، وينطلق من فكرة أن لكل مفردة من مفردات القرآن نصيبها من الإعجاز، وأن وراء كل لفظة أو صيغة قرآنية من الأسرار البلاغية ما يدعو إلى الاجتهاد في الكشف عنها.

ويتخذ البحث من استعمالات القرآن الكريم لصيغة اسم المفعول مادة يتتبعها بالدرس والتحقيق من خلال الفكرة السابقة ويبدأ بذكر الخصائص المقررة لاسم المفعول - على مستوى النحو والصرف والدلالة، ثم يتبعها بعرض ما يزيد على ثلاثين مثالا لاسم المفعول في القرآن، ويعقب عليها بالشرح والتحليل والمقابلة بينها وبين صيغ أخرى يمكن أن تساويها في المعنى، وتحل محلها في دلالتها العامة، مثل اسم الفاعل أو الفعل المبنى للمعلوم أو للمجهول. ولكن الوفاء الحق

* أ - أستاذ البلاغة المساعد في كلية اللغة العربية الجامعة الإسلامية العالمية.

بالمعنى يقتضى استعمال اسم المفعول بالذات في هذا المقام أو ذاك. وهنا يذكر الوجه البلاغي الذي رجّح في رأيه اختيار صيغة اسم المفعول دون غيرها من الصيغ. وهذه الوجوه البلاغية التي يجتهد البحث في استنباطها في ضوء الرجوع إلى مختلف المصادر في التفسير والبلاغة واللغة ـ يجرى ترتيبها على شكل عناوين، تصل إلى عشرة وتضم تحتها الأمثلة المدروسة، ومن أمثلتها:

أسرار حذف الفاعل، الدلالة على حصول الفعل على وجه الكمال، أو على إظهار علة الحكم، أو على تحقير المفعول به.. الخ.

ثم يختم البحث بإعادة التأكيد على فكرة الإعجاز على مستوى الأسلوب والمفردات القرآنية معا، وأن ورود صيغ اسم المفعول في القرآن ـ في ضوء مقابلتها بالصيغ الممكنة المساوية لها ـ يأتي في سياقه ليؤدى المعنى أكمل ما يكون الأداء.

## المقدمة:

موضوع هذا البحث هو دراسة صيغة اسم المفعول في القرآن الكريم، في محاولة للكشف عن بعض الأسرار البلاغية الكامنة في اختيار التعبير بهذه الصيغة على صيغة اسم الفاعل أو صيغة الفعل المبنى للمجهول، والتعرف على مقامات استعمال اسم المفعول في القرآن.

والبحث يدرس اسم المفعول من عدة جهات هي:

أ ـ اسم المفعول يسند إلى نائب فاعل هو المفعول به أو ما يقوم مقامه

حكمه في هذا حكم الفعل المبنى للمجهول، أي أن الفاعل فى صيغة اسم المفعول محذوف ، والحذف يكسب الكلام إيجازاً واختصاراً ، ويجعله أكثر تركيزاً بعد حذف ما تدل القرينة عليه ، كما أن الحذف يحقق نكتة اقتضاها المقام .

ب ـ اسم المفعول حقه أن يسند إلى المفعول به أو ما يقوم مقامه ، فإذا أسند إلى الفاعل أو الزمان أو المكان كان الإسناد مجازيا عدل إليه لتحقيق نكتة .

جـ ـ اسم المفعول من الأسماء المشتقة التى تعمل عمل الفعل وتختلف عنه فى الدلالة ؛ فالفعل يدل على الحدوث والتجدد ، والأسماء المشتقة تدل على الثبوت والدوام ، فالعدول عن الفعل إلى اسم المفعول يحقق نكتة اقتضاها المقام .

د ـ اسم المفعول يدل على حصول الفعل ووقوعه ، فاستعماله فى الأفعال التى لم تقع وستقع فى المستقبل له دلالته ومقاماته.

و ـ اسم المفعول يصاغ من الثلاثى على وزن مفعول ، ويصاغ من غير الثلاثى على صيغة المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وفتح ما قبل الآخر ، ودلالة الصيغتين مختلفة ، وهذه لها مقام ، وتلك لها مقام آخر .

هذه هى أهم الجهات التى أحاول دراسة اسم المفعول على أساسها ، باحثا عن النكتة البلاغية فى كل جهة من هذه الجهات ، وذلك على القراءة المشهورة فى الآيات.

## من أسرار حذف الفاعل في صيغة اسم المفعول:

الحذف نوع من نوعي الإيجاز يكسب الكلام نبلاً وشرفاً، ويزيده تمكينا وتثبيتا ، ويكثر من دلالته وإيحائه ، وفي مكانة الحذف وأسراره يقول الإمام عبد القاهر : "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[1].

ويقول "فما من اسم أو فعل تجده قد حذف ثم أصيب به موضعه ، وحذف في الحال ينبغي أن يحذف فيها، إلا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره ، وترى إضماره في النفس أولى وآنس من النطق به". [2]

والأسرار البلاغية الداعية إلى حذف الفاعل كثيرة لا يمكن حصرها ، وتعرف بالوقوف على السياق وتأمل المقامات .[3]

من هذه الأسرار تعظيم الفاعل بالإشارة إلى أن هذا الفعل لا يصدر إلا منه ، فالفاعل معلوم وإن لم يذكر في الكلام، كما في قوله تعالى: ﴿ وجعلنا السماء سقفاً محفوظا وهم عن آياتها معرضون ﴾.[4] فحفظ السماء من الوقوع أو من استراق السمع بالشهب لا يكون إلا بقدرة الله سبحانه، فالفعل

---

١ ـ دلائل الإعجاز، ص: ١٤٦ ـ ط الخانجي، تحقيق محمود شاكر.

٢ ـ السابق ص: ١٥٢ ، ١٥٣ .

٣ ـ تنظر بعض هذه الأسرار في التبيان في علم المعاني والبديع والبيان ص: ١١١، ١١٢ ، ٥٢٩، ٥٣٠ ، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ٣/١٤٤ ، ١٤٥ ـ ط عيسى الحلبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

٤ ـ سورة، الأنبياء ٣٢ .

ينصرف إليه؛ لأنه لا يصدر إلا منه . ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ والسموات مطويات بيمينه ﴾[١] فطي بساط السموات يوم القيامة وتبديل صورتها أمر لا يصدر إلا من الله سبحانه ، فحذف الفاعل عن طريق اسم المفعول لأن الفعل ينصرف إليه وإن لم يذكر في الكلام ، وفي هذا دلالة على كمال القدرة وغاية العظمة... ومنها ؛ الدلالة على عموم الفاعل وأنه لا يختص به فاعل دون آخر. كما في قوله تعالى: ﴿ والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ﴾ إن عذاب ربهم غير مأمون ﴾[٢] فعذاب الله لا يأمنه أحد مهما كانت درجة طاعته ، فهؤلاء مع رسوخهم في طاعة ربهم خائفون من العذاب ، فما بالك بغيرهم . ومثله قوله تعالى: ﴿ إن عذاب ربك كان محذوراً ﴾[٣] فالحذر من عذاب الله أمر ينبغي أن يكون من جميع الخلق بما فيهم الملائكة والأنبياء ـــ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾.[٤] فالرسول صلى الله عليه وسلم يحمده الأولون والآخرون، وذلك في مقام الشفاعة ... ومنها : الدلالة على أن الغرض هو وقوع الفعل على المفعول من أي فاعل كان ، فتحديد الفاعل لا يتعلق به غرض . كما في قوله تعالى : ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ﴾[٥] فعذاب الله واقع على هؤلاء الذين أنذروا ولم يستجيبوا، والحكم لا يختلف باختلاف المنذر، فذكر الفاعل لا يتعلق به الحكم ، ولذلك حذف، ومثله قوله تعالى: ﴿ يسقون من رحيق مختوم﴾[٦]

---

١ ـ سورة الزمر ٦٧ .

٢ ـ سورة، المعراج ٢٧ ، ٢٨ .

٣ ـ سورة ، الإسراء ٥٧ .

٤ ـ سورة، الإسراء ٧٩ .

٥ ـ سورة، يونس ٢٥ .

٦ ـ سورة، المطففين ٢٥ .

فالمقصود هو وقوع الختم على الرحيق ، وتحديد الخاتم من هو لا يتعلق به غرض.

والأمر اللافت للنظر في استعمال اسم المفعول في القرآن الكريم مجيؤه في مقامات يمكن أن يفاد الغرض العام فيها باسم الفاعل فعدل عن اسم الفاعل إلى اسم المفعول لأن الكشف عن دقائق المعنى وخصائصه ، وإبراز صورته وهيئته أمر لا يتحقق إلا بالتعبير باسم المفعول. ونحاول أن نقف مع هذه المقامات بشيء من التفصيل لنتعرف على الأسرار الكامنة وراء التعبير باسم المفعول.

## الدلالة على حصول الفعل على وجه الكمال تعظيما للمفعول به:

قال تعالى: ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ﴾.[1]

تتحدث الآية عن الثواب الذي أعده الله في الآخرة لعباده المتقين من جنات تجرى من تحتها الأنهار ، وثمار لذيذة متنوعة دائمة في كل الأوقات ، وأزواج مطهرات من كل أمر مستقذر ، وإقامة دائمة في جنة الخلد لا يعقبها زوال.

وموضع الحديث في الآية الكريمة هو قوله سبحانه: ﴿ولهم فيها أزواج مطهرة ﴾ الأزواج ؛ جمع زوج، وهو "يقال لكل واحد من الفريقين من الذكر

١ ـ سورة البقرة، ٢٥ .

والأنثى في الحيوانات المتزاوجة[١] والمراد به هنا النساء التي تختص بالرجال لا يشركه فيها غيره[٢]. و"مطهرة" أي متطهرات" مما في نساء الدنيا من الأحوال المستقذرة كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق"[٣]

فالحق سبحانه وصف أزواج الجنة بقوله "مطهرة" على صيغة اسم المفعول وهي قراءة الجمهور . وصيغة اسم المفعول أفادت أن الأزواج لم يفعلن التطهير بأنفسهن ، وإنما طهرهن مطهّر ، وهناك فرق بين أن يفعلن التطهير بأنفسهن وبين أن يقع عليهن التطهير من فاعل آخر ، وليس ذلك الفاعل إلا الله سبحانه وتعالى ، وناهيك عن فعل يكون من قبل الله سبحانه ، فهو فعل وصل الغاية والنهاية في الكمال ، فكماله مستمد من كمال فاعله ، قال العلامة أبو السعود : "ومطهرة أبلغ من طاهرة ومتطهرة ، للإشعار بأن مطهراً طهرهن ، وما هو إلا الله سبحانه وتعالى"[٤] . وفي هذا دلالة على تعظيم نساء الجنة واختصاصهن بالطهر الكامل ، وتميزهن عن نساء الدنيا اللاتي يقمن بتطهير أنفسهن ، فهو تطهير ناقص لا يصل إلى تطهير نساء الجنة ، ومما يؤكد هذا المعنى أن وصف الأزواج بالطهر على صيغة اسم المفعول لم يأت إلا في وصف أزواج الجنة ، فقد وصفن بهذه الصفة ثلاث مرات ، مرة في سورة البقرة وهي التي علقنا عليها ، ومرة في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿ وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ﴾[٥] ومرة في

---

١ـ معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم للعلامة الراغب الأصفهاني ص: ٢٢٠ . ط دار الفكر ـ بيروت.

٢ ـ روح المعاني للعلامة الألوسي ٢٠٤/١ ـ ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٣ ـ تفسير أبي السعود ٧٠/١ ـ ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٤ ـ السابق نفسه.

٥ ـ سورة آل عمران ، ١٥ .

سورة النساء في قوله: ﴿ لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلاً ظليلاً ﴾[1] وقرىء "مطهرات" على صيغة الجمع ، وهما لغتان فصيحتان ، يقال ؛ النساء فعلت وفعلن ، وهن فاعلة وفواعل ، فالجمع على اللفظ والإفراد على تأويل الجماعة ، وقرىء "مطهرة" بتشديد الطاء وكسر الهاء على صيغة اسم الفاعل من باب التفعل وأصله متطهرة أدغمت التاء في الطاء ، وفي كلام العرب ؛ ما أحوجني إلى بيت الله فأطهر به أطهرة، أي فأتطهر به تطهرة، وهذه القراءة على صيغة اسم الفاعل مناسبة لقراءة الجمهور ، لأن الفعل مما يحتمل أن يكون مطاوعاً نحو طهرته فتطهر أي أن الله تعالى طهر هن فتطهرن.[2] ونعود إلى قوله "لهم فيها أزواج مطهرة" فنجد أن من دلالة اسم المفعول أيضاً إفادة الثبوت والدوام ، فوصف الأزواج بالطهر أمر ثابت فيهم ، دائم لا يتغير . ومن عطاء النظم في الجملة الكريمة تقديم الخبر "لهم" على المبتدأ "أزواج" وهذا التقديم أفاد قصر الأزواج المطهرة على الذين آمنوا دون غيرهم.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يطوف عليهم ولدان مخلدون ، بأكواب وأباريق وكأس من معين ﴾[3] حيث وصف الولدان باسم المفعول "مخلدون" أي خلدهم مخلد ، وهو الله سبحانه ، ومع أن خلود أهل الجنة ـ سواء كانوا كباراً أم صغاراً ـ هو من عند الله سبحانه ، فهو الفاعل له ، إلا أن القرآن الكريم عبر عن خلود الكبار بصيغة اسم الفاعل "خالدون" في مثل قوله ؛ ﴿ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ وعبر عن خلود الغلمان بصيغة اسم

---

١ ـ سورة النساء ، ٥٧ .

٢ ـ البحر المحيط لأبي حيان ١١٧/١ بتصرف ـ دار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت ط ثانية ١٩٨٣ .

٣ ـ سورة الواقعة ، ١٧ ، ١٨ .

المفعول "مخلدون" ومع أن "خالدون" في معنى "مخلدون" ، فقد ورد في لسان العرب ؛ وأهل الجنة خالدون مخلدون آخر الأبد"[١] ، إلا أن اختلاف الصيغتين من حيث اللفظ له دلالة فما السر في التعبير عن خلود الغلمان بـ"مخلدون" دون خالدون؟.

والسر في ذلك والله أعلم أن الخلود في الجنة وإن كان تفضلاً من الله وتكرما على عباده إلا أنهم لا يكونون أهلاً لهذا التفضل إلا بأعمالهم الصالحة التي قدموها في دنياهم فمراعاة لكونهم أهلا لهذا التكرم عبر باسم الفاعل في حق المؤمنين الذين قدموا في الدنيا الأعمال الصالحة ، أما الولدان ـ وهم أطفال الدنيا ، كما ورد في الحديث[٢] ـ فلم يقدموا أعمالاً تجعلهم أهلاً لفضل الله ، فعبر باسم المفعول للإشارة إلى أن خلودهم لم يكن لأهليتهم ، كما كان الكبار ، وإنما خلودهم منحة خاصة. وقيل؛ إن معنى "مخلدون" مبقون أبداً على شكل الولدان وحد الوصافة لا يتحولون عن ذلك[٣] أي أنهم لا يعتريهم الشيب فيبقون على حالتهم صغاراً .

وهذا المعنى لا يختص بالغلمان ، فكل أهل الجنة لا يتغيرون ولا يشيبون مع خلود الإقامة ، ولكن لما كان الغلمان مظنة أنهم لا يبقون صغاراً عبر عن استمرار صفتهم باسم المفعول للدلالة على أن خلودهم على هيئة الولدان . من قولهم "رجل مخلَّد لمن أبطأ عنه الشيب" [٤]

---

١ ـ لسان العرب ٦٤/٣ ـ ط دار صادر ـ بيروت.

٢ ـ حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي ٣٤٣/٤ .

٣ ـ روح المعاني ١٣٦/٢٧ .

٤ ـ معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم ص : ١٥٥ .

وقيل : إن "مخلدون" من الخلد ،والخلد : جمع خلدة وهي القرط ، فقوله "مخلدون" أي مقرطون مشنقون"[1] ، وهذا القول: يبرز سببا من أسباب حسن الولدان ، فهم محلون بالأقراط بالإضافة إلى إشراق وجوههم وصفاء ألوانهم ؛ فكانوا كاللؤلؤ المنثور ،﴿ إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثوراً ﴾.[2]

ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . إنهم لهم المنصورون . وإن جندنا لهم الغالبون ﴾[3] تتحدث الآيات عن وعد الله . لرسله وجنوده بالنصر والغلبة ، وهو وعد لا يتخلف، سبق به الكتاب قبل أن ترفع الأقلام وتجف الصحف . والملاحظ أن نصر المرسلين عبر عنه باسم المفعول "المنصورون" ، وغلبة الجند عبر عنه باسم الفاعل "الغالبون" فما وجه اختلاف التعبير فيهما ؟ ولم لم يقل في حق المرسلين المنتصرون باسم الفاعل كما قال سبحانه في حق الجند ـــالغالبونـــ باسم الفاعل ؟ .

والجواب ـ والله أعلم بمراده ـ أن النصر أمر لا يتحقق باكتساب العبد ومجهوده ، وإنما هو من عند الله سبحانه يؤيد به عباده الذين نصروه ، ولهذا لم يسند النصر في القرآن الكريم إلى الرسل والمؤمنين، وإنما أسند إلى الله في مثل قوله تعالى: ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾[4]، وقوله ﴿ ونصرناهم فكانوا هم الغالبين ﴾[5] وفي قوله ﴿ وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴾[6] أما الغلبة فهي أمر ناتج

---

١ ـ معجم مقاييس اللغة ٢٠٨/٢ .

٢ ـ سورة الإنسان ، ١٩ .

٣ ـ سورة الصافات ، ١٧١ ـ ١٧٣ .

٤ ـ سورة غافر، ٥١ .

٥ ـ سورة الصافات، ١١٦ .

٦ ـ سورة آل عمران، ١٢٦ .

عن حصول النصر لهم، فمن ينصره الله يكون غالبا لعدوه ﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم ﴾[١] فكون الجند غالبين أمر مرتب على نصر الله ، ولهذا قال سبحانه في حق موسى وقومه ﴿ ونصرناهم فكانوا هم الغالبين ﴾ وعلى هذا التأويل يكون المراد بالجند الرسل والمؤمنون من باب ذكر العام بعد الخاص للتأكيد، وقد أسندت الغلبة إلى الله وإلى الرسل في قوله ﴿ كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي إن الله قوي عزيز ﴾[٢] وإلى موسى وقومه في قوله : (فكانوا هم الغالبين)، فجاء إسناد الغلبة باسم الفاعل إلى الجند ﴿ وإن جندنا لهم الغالبون﴾ ليكون متفقا مع نظائره وللإشارة إلى أن نصر الله جرى على أيد الجند، فكانت لهم الغلبة.

وبالتأمل في آية الصافات ﴿ إنهم لهم المنصورون . وإن جندنا لهم الغالبون﴾ مرة أخرى نجد أن النصر والغلبة أسندا إليهما على وجه التأكيد بأكثر من مؤكد ، كإسمية الجملة وإن واللام وضمير الفصل وتعريف الطرفين المفيد للاختصاص ، أي أن النصرة مقصورة على الرسل ، والغلبة على الأعداء مقصورة على جند الله " وقد يقال إن النصر والغلبة ليست مقصورة عليهم فقد غلبوا في بعض المواقع، فما وجه حصر ذلك ؟ والجواب " "أن حصر الغلبة والنصرة فيهم مبني على أن الغالب كونهم منصورين غالبين ، والحكم للغالب ، وذلك لأن المقتضي بالذات إنما هو ذلك ، وما وقع في بعض الأحيان من الانهزام إنما كان لعارض أدى إليه ، فإن الانهزام من قبيل القضاء المعلق بما يليق بهم كمخالفة أمرهم الوالي ، وطمع الدنيا، والعجب والغرور وأمثال ذلك ، ولا شك أن ما وقع لعارض قليل بالنسبة إلى ما هو المقضي بالذات ،

---

١ ـ سورة آل عمران، ١٦٠ .

٢ ـ سورة المجادلة ، ٢١ .

ويمكن أن يقال: إنهم هم المنصورون في الدنيا على أعدائهم بكونهم مؤيدين بالحجج القاطعة الدالة على صدقهم وحقيقة أمرهم ، وإنهم هم الغالبون بها عليهم في الدنيا كما أنهم غالبون عليهم في العقبى بالسعادات الأبدية ، ولا ينافي كون الاستيلاء والغلبة الظاهرة للكفار على ندرة لحكمة اقتضت ذلك"[1]

والوجه أن قصر الغلبة على جنود الله أمر واقع في كل الأوقات وليس على الغالب حسب ما تقتضيه إضافتهم إلى لفظ الجلالة سبحانه ، فهم جند الله الذين يقاتلون إظهاراً لدينه ودفاعا عن العقيدة ، فالغلبة لهم دائما إذا كانت هذه المعاني في نفوسهم، وإذا تخلوا عن بعض هذه المعاني فلا تكون لهم الغلبة؛ لأنهم حينئذ ليسوا جند الله .

ومن هذا القبيل وصف عباد الله بالمخلصين على صيغة اسم المفعول في أكثر من موضع ، من ذلك قوله تعالى: ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾[2] وقوله: ﴿ وما تجزون إلا ما كنتم تعملون إلا عباد الله المخلصين ﴾[3] وقوله: ﴿ قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ﴾[4].

فمخلصين اسم مفعول من أخلص أي "أخلصهم الله تعالى واختارهم لطاعته بأنه عصمهم عما هو قادح فيها"[5] وهذا اصطفاء من الله لا يظفر به إلا من كان أهلاً له ، وهم أنبياء الله وخاصته من عباده، وعندما نتأمل الآيات

---

١ ـ حاشية شيخ زادة علي تفسير البيضاوي ٤/٧٣ .

٢ ـ سورة يوسف ، ٢٤ .

٣ ـ سورة الصافات، ٤٠ .

٤ ـ سورة ص ، ٨٣ .

٥ ـ روح المعاني ١٢/٢١٦ .

التي وصف فيها العباد بالمخلصين نجد أن لفظ "عباد" أضيف إلى لفظ الجلالة سبحانه أو إلى ضمير يعود عليه ، وهذه الإضافة تدل على تمحضهم في عبادة الله ، وهذا شرف ما بعده شرف، فقد جاء في الحديث عن أبي القاسم سليمان الأنصاري أنه قال : لما وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة أوحى الله تعالى إليه يا محمد بم نشرفك ؟ قال بنسبتي إليك بالعبودية ، فأنزل الله تعالى: ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً ﴾.[١]

والملاحظ أن "مخلصين" على صيغة اسم المفعول وقعت في الآيات نعتا للعباد ، فهي صفة ثابتة لازمة لهم اختصهم ربهم بها ورباهم عليها وهذا بخلاف "مُخْلِص" بصيغة اسم الفاعل ، فقد وقعت حالاً في مثل قوله تعالى: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ﴾[٢]، وقوله: ﴿ قل الله أعبد مخلصاً له دين ﴾[٣] وقوله : ﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ﴾[٤] فـ "مخلصاً" وقع حالاً، والحال وإن كانت صفة كالنعت وفيها ضمير يعود إلى الاسم فإنها ليست بصفة لازمة للاسم كالنعت ، وإنما هي صفة للاسم في حيز وجود الفعل خاصة".[٥]

والذين اصطفاهم الله بأن أخلصهم لطاعته هم مخلصون لله في العبادة ، فمن أخلصه الله فهو مخلص لله لا يشرك معه غيره ، فكل من أخلصه الله

---

١ - السابق ١٥/٤ .

٢ - سورة الزمر، ٢ .

٣ - سورة الزمر ، ١٤ .

٤ - سورة العنكبوت، ٦٥ .

٥ - بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ١٨٤/١ - ط دار الكتاب العربي - بيروت.

فهو مخلص لله ، وليس العكس ، ومن هنا فإن الآيات التي جاءت على صيغة اسم المفعول قرئت بصيغة اسم الفاعل ، بخلاف الآيات التي جاءت على صيغة اسم الفاعل فلم تقرأ إلا بهذه القراءة ، لأن اصطفاء الله لبعض عباده منزلة لا يظفر بها كل من أخلص العبادة لله ، ولكن يظفر بها بعضهم ...

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ﴾[1] أكدت الآية الكريمة براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من حديث الإفك والبهتان ، وصدر الآية دليل على عجزها ، فصدر الآية يقرر سنة من سنن الله في الخلق ، وهي اجتماع واقتران المتفقين في الصفات واختصاص كل منهما بالآخر، فالخبيثة لا ينكحها إلا الخبيث ؛ والخبيث لا ينكح إلا الخبيثة ، والطيبة لا ينكحها إلا الطيب ، والطيب لا ينكح إلا الطيبة ، فهي سنة لا تتخلف ، يلزم منها تأكيد براءة أم المؤمنين عائشة من هذا البهتان العظيم، لأنها زوجة أشرف الخلق والمرسلين وأطيب الطيبين إلى أن تقوم الساعة ؛ فهي على رأس الطيبات .

وموضع الحديث في الآية هو : "أولئك مبرءون مما يقولون" فلم قيل "مبرءون" ولم يقل ؛ بريئون، كما في قوله تعالى: ﴿ أنتم بريئون مما أعمل ﴾[2] إذا تأملنا سياق آية النور وجدنا أنها جاءت في ختام حديث القرآن عن إفك المنافقين في حق أم المؤمنين عائشة ، وجاء فعل البراءة على صيغة اسم المفعول ، واسم المفعول أفاد أن البراءة لم يفعلها المتصف بها ، وإنما فعلها فاعل ، وليس ذلك الفاعل إلا الله سبحانه، فأم المؤمنين عائشة برأها الله ، ولم

١ ـ سورة النور ، ٢٦ .

٢ ـ سورة يونس، ٤١ .

تبرئ نفسها ؛ وهذا أدل على كمال براءتها مما رميت به ، لأن الفاعل هو القادر سبحانه.

وقد برأ الله أربعة بأربعة ؛ برأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهلها ، وموسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه ، ومريم بإنطاق ولدها ، وعائشة رضي الله عنها بهذه الآيات مع هذه المبالغات".[١]

والإشارة في قوله "أولئك مبرءون" إلى أهل البيت المنتظمين للصديقة انتظاماً أوليا رجالاً ونساء ، وقيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديقة وصفوان ، وما في اسم الإشارة من معنى البعد للإيذان بعلو ربتة المشار إليهم وبعد منزلتهم في الفضل ، أي أولئك الموصوفون بعلو الشأن مبرءون مما تقوله أهل الإفك في حقهم من الأكاذيب الباطلة[٢]....

## حيث المخاطبات على الامتثال بإظهار علة الحكم:

قال تعالى: ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده... ﴾[٣]

تتحدث الآية عن مدة إرضاع الولد ؛ وأن أقصاها حولان ، وتحدد من تجب عليه مؤنة المرضعة وهو الأب .

وموضع حديثنا حول الآية هو قوله: "وعلى المولود له رزقهن .... حيث عبر

---

١ ـ تفسير البيضاوي ـ هامش حاشية الشيخ زادة ٣/٤٢٠ ـ ط المطبعة العثمان ـ تركيا ، ص: ١٩٨١م .

٢ ـ تفسير أبي السعود ٦/١٦٧ .

٣ ـ سورة البقرة، ٢٣٣ .

عن الأب باسم المفعول "المولود له" ولم يعبر عنه باسم الفاعل الوالد ، والسر في ذلك ـ والله أعلم ـ تنبيه الوالد إلى نعمة الذرية ، وأنها تحمل اسمه وتنسب إليه ، وينتفع بها في دنياه ، وتكون امتداداً له بعد وفاته.

بخلاف الأم ، فهي وعاء يحمل ولا ينسب إليها المحمول ، وإنما ينسب إلى أبيه ، وهذه منحة من الله للآباء نبههم عليها كي يلتزموا بالحقوق الواجبة عليهم نحو أبنائهم .

قال العلامة الزمخشري : ـــفإن قلت لم قيل المولود له دون الوالد ؟ قلت ليعلم أن الوالدات ولدن لهم؛ لأن الأولاد للآباء، ولذلك ينسبون إليهم لا إلى الأمهات".[1]

روى أن المأمون بن الرشيد لما طلب الخلافة عابه هشام بن علي فقال بلغني أنك تريد الخلافة، وكيف تصلح لها وأنت ابن أمة ؟ فقال كان إسماعيل ابن أمة وإسحاق عليهما الصلاة والسلام ابن حرة، فأخرج الله تعالى من صلب إسماعيل خير ولد آدم ، وأنشد:

لا تزرين بفتى من أن تكون له * أم من الروم أو سوداء عجماء

فإنما أمهات الناس أوعية * مستودعات وللآباء أبناء[2]

فالتعبير باسم المفعول أظهر العلة التي اقتضت وجوب النفقة للمرضعة على الوالد ، وفي هذا حث له على الامتثال ، لأن ما يقدمه من نفقة وكسوة للمرضعة يعود نفعه إليه عن طريق الولد الذي ولد له ونسب إليه وقد أفصح عن هذا المعنى أبو حيان في قوله ؛ "إنه لما كلف بمؤن المرضعة لولده من

١ ـ الكشاف ٢٧٩/١ .

٢ ـ حاشية الشيخ زارة على تفسير البيضاوي ٥٤٣/١ .

الرزق والكسوة ناسب أن يسلى بأن ذلك الولد هو ولد له لا لأمه، وأنك الذي تنتفع به في التناصر وتكثير العشيرة ، وأن لك عليه الطوعية كما كان عليك لأجله كلفة الرزق والكسوة لرضعته".[١]

فسياق الآية الكريمة اقتضى التعبير باسم المفعول دون اسم الفاعل ، وإذا نظرنا إلى آية أخرى وجدنا أن السياق اقتضى التعبير باسم الفاعل دون اسم المفعول ، وهذا هو شأن بلاغة القرآن، فكل لفظ وقع في سياق لا يصلح فيه غيره من الألفاظ .

انظر إلى قوله تعالى: ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾[٢] فقد عبر عن الأب بصيغة اسم الفاعل "لا يجزى والد" ولم يعبر عنه بصيغة اسم المفعول "المولود له" لأن السياق هنا في سورة لقمان مختلف عن السياق في آية البقرة ، فكما عرفنا من سياق آية البقرة أن المقصود الإشارة إلى علة وجوب النفقة على الوالد ، فجاء اسم المفعول ليبرز جانب منفعه الوالد بولده، أما آية لقمان فقد جاءت باسم الفاعل على الأصل ، لأن المقصود نفي تحمل الوالد عن ولده شيئاً يوم القيامة ، وليس المقصود إبراز منفعة الوالد بولده.

وبالتأمل في آية لقمان مرة أخرى نجد أن الولد عبر عنه باسم المفعول في قوله: ﴿ ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ﴾ ، ولم يقل ولا ولد ، فما السر في ذلك ؟ .

---

١ ـ تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلس ٢/٢١٤ ـ ط دار الفكر للطباعة والنشر.

٢ ـ سورة لقمان، ٣٣ .

السر في ذلك ـ والله أعلم ـ أن المقصود بالجملة تأكيد نفي إجزاء الولد عن والده ، واسم المفعول يحقق هذا المعنى دون لفظ ولد ؛ لأن المولود لا يطلق إلا على الابن الحقيقي الذي هو من صلب أبيه ، أما لفظ الولد فيطلق على الولد الحقيقي وعلى ولد الولد وإن تباعد ، فالولد أعم والمولود أخص ، فإذا كان المولود لا ينفع والده الأقرب فعدم نفعه لغيره من الآباء الأباعد أولى ، وهذا ما عناه الزمخشري بقوله ـــ ومعنى التوكيد في لفظ المولود ؛ أن الواحد منهم لو شفع للأب الأدنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا عن أن يشفع لمن فوقه من أجداده ؛ لأن الولد يقع على الولد وولد الولد ، بخلاف المولود فإنه لمن ولد منك"[1] وهكذا نجد أن المعنى الواحد عبر عنه بصيغ مختلفة ، وكل صيغة لها دلالتها وإيحاؤها الذي يتناسب مع السياق الذي جاءت فيه ، ولا تصلح صيغة أخرى مكانها ، وهذه سمة من سمات البلاغة القرآنية بل هي عمود هذه البلاغة كما قال الخطابي ؛ "ثم اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به ، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه ؛ إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة".[2]

ومن خصائص النظم في آية لقمان التعبير عن نفي إجزاء الوالد عن ولده بدون تأكيد "لا يجزى والد عن ولده" ، بخلاف التعبير عن نفي إجزاء الولد عن والده فقد جاء مؤكداً بأكثر من مؤكد "ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً" حيث عبر عنه بالجملة الإسمية التي تفيد الثبوت والدوام ـ وهذا إذا أعرب "مولود"

١ ـ الكشاف ٤٠٤/٣ .

٢ ـ ثلاث رسائل اعجاز القرآن ـ رسالة البيان في إعجاز القرآن ص : ٢٩ .

مبتدأ ، والجملة بعده خبر ـ وتأكيد الضمير المستتر في اسم المفعول بالظاهر "هو" ، والتعبير باسم المفعول "مولود" دون ولد ، والتصريح بلفظ "شيئاً" وهي تفيد تأكيد نفي حدوث أي منفعة على وجه العموم ولو كانت قليلة لا تذكر ، كل هذه التأكيدات ليست موجودة في الجملة الأولى ، فما وجه اختلاف الجملتين في التأكيد ؟ .

أجاب ابن المنير على هذا السؤال بقوله: (إن الله تعالى لما أكد الوصية على الآباء وقرن شكرهم بوجوب شكره عزّ وجلّ ، وأوجب على الولد أن يكفي والده ما يسوءه بحسب نهاية إمكانه قطع ههنا وهم الوالد في أن يكون الولد في القيامة مجزيه بحقه عليه ، ويكفيه ما يلقاه من أهوال القيامة كما أوجب الله عليه في الدنيا ذلك في حقه ؛ فلما كان إجزاء الولد عن الوالد مظنون الوقوع ـ لأن الله حضه عليه في الدنيا ـ كان جديراً بتأكيد النفي لإزالة هذا الوهم ، ولا كذلك العكس."[١]

## المبالغة في ذم وتحقير المفعول به:

قال تعالى: ﴿ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون ﴾[٢].

تكشف الآية الكريمة عن قبيحة من قبائح المنافقين وهي كراهتهم الجهاد في سبيل الله إيثاراً لشهواتهم ومتعهم على شرف الجهاد والاستشهاد في

١ ـ الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من مسائل الاعتزال حاشية على الكشاف ٥٠٤/٣ .

٢ ـ سورة التوبة، ٨١ .

سبيل الله ، هؤلاء المنافقون لم يخرجوا مع رسول الله إلى الغزو ، ولم يكتفوا بهذا وإنما حاولوا تثبيط همم المؤمنين عن الجهاد وإغواءهم بالعلل الزائفة كشدة الحر في وقت الغزو .

وقد عبر عن تخلف هؤلاء المنافقين عن الجهاد باسم المفعول "المخلفون" ولم يعبر عنهم باسم الفاعل متخلفون أو خالفون . فما سر التعبير باسم المفعول دون اسم الفاعل مع أن مآل الصيغتين في المعنى واحد وهو قعود المنافقين في المدينة وعدم خروجهم إلى الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ السّر في ذلك يكمن في دلالة اسم المفعول وما يوحي به من معان ، فمخلّف اسم مفعول من خلّفه إذا تركه خلفه ، أي فعل به هذا الفعل ؛ لأنه ليس أهلاً لأن يكون مع المقدم .

والمخلفون الذين فرحوا بالقعود خلاف رسول الله هم الذين خلفهم النبي صلى الله عليه وسلم وأذن لهم في التخلف ، أو خلفهم الله تعالى بتثبيطه إياهم لحكمة علمها ، أو خلفهم الشيطان بإغرائه ، أو خلفهم الكسل والنفاق.[1]

والآية مسوقة لذم المنافقين على قبح صنيعهم ، فجاء التعبير باسم المفعول ليفيد أن مكان هؤلاء أن يتركوا ويهملوا لعدم الفائدة من خروجهم وعدم أهليتهم لشرف الجهاد ، فاسم المفعول "المخلفون يقتضي الذم والتحقير ، ولذلك جاء ﴿ رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ﴾ وهي أمكن من لفظة المتخلفين ، إذ هم مفعول بهم ذلك ، ولم يفرح إلا منافق ، فخرج من ذلك الثلاثة وأصحاب العذر".[2]

---

١ـ روح المعاني ١٠/١٥٠ ـ ١٥١ .

٢ ـ البحر المحيط ٥/٧٩ .

والذين قعدوا ولم يخرجوا مع المجاهدين صنفان : الأول: المنافقون الذين لم يخرجوا اختيارا للراحة والمتعة وابتعادا عن مصادر الهلاك في نظرهم ؛ وهم عادة يفتعلون الأعذار لعدم خروجهم ، وهم الذين عناهم الحق بقوله : ﴿ إنما السبيل على الذين يستئذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون﴾.(١)

والصنف الثاني ؛ هم النساء والأطفال والشيوخ والمرضى والفقراء الفاقدون للزاد والمركب، ومن له عذر حقيقي ، وهؤلاء لا عقاب عليهم وقد جمعهم الله في قوله: ﴿ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم . ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألاّ يجدوا ما ينفقون ﴾.(٢)

الصنف الأول وهم المنافقون استأذنوا الرسول في القعود متعللين بعلل واهية مفتعله ﴿ وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استئذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين ﴾(٣) فهم طلبوا أن يأذن لهم الرسول في التخلف ، فخلفهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، أي تركهم خلفه تحقيرا لهم .

والملاحظ أن القرآن لم يستعمل لفظ "المخلفون" إلا في وصف المنافقين الذين تعللوا بالأعذار في تخلفهم عن الجهاد . سواء كانوا من منافقي المدينة وهم الذين تحدثت عنهم آيات سورة التوبة ، أم كانوا من منافقي الأعراب ،

---

١ ـ سورة التوبة: ٩٣ .

٢ ـ سورة التوبة ٩١ ـ ٩٢ .

٣ ـ سورة التوبة: ٨٦ .

وهم الذين تحدثت عنهم آيات سورة الفتح في قوله ﴿ سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا ... ﴾[1].

والملاحظ أيضا أن القرآن عبر عن عدم خروجهم مع الرسول بمشتقات مادة القعود في أكثر من موضع مثل ﴿ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ﴾ ﴿ إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ﴾[2] ﴿ وقعد الذين كذبوا الله ورسوله... ﴾[3] ﴿ الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا.. ﴾[4] ومادة القعود تستعمل في اللئيم المتقاعد عن المكارم.[5] قال الحطيئة يهجو الزبرقان بن بدر :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فوصفهم بالقعود يزيد في تحقيرهم وذمهم ، ويتفق مع دلالة اسم المفعول "المخلفون".

أما الصنف الثاني وهم الذين لم يخرجوا اضطراراً ، فأمرهم معروف ، وأعذارهم ناطقة بحالهم ، ولذلك لم يستأذنوا ولم يطلبوا التخلف ، ولم يخلفهم الرسول ، وإنما تخلفوا لعدم قدرتهم على الخروج ، فهم قد فعلوا التخلف ولم يفعل بهم ، ولذلك لم يصفهم الحق بالمخلفين ، وإنما وصفهم بالخالفين وبالخوالف في قوله سبحانه: ﴿ فاقعدوا مع الخالفين ﴾[6] وقوله ﴿ رضوا بأن

---

١ ـ سورة الفتح: ١١ .

٢ ـ سورة التوبة: ٨٣ .

٣ ـ سورة التوبة: ٩٠ .

٤ ـ سورة آل عمران: ١٦٨ .

٥ ـ معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٤٢٤ .

٦ ـ سورة التوبة: ٨٣ .

يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾.[١]

والخوالف هن النساء ، لان الرجال يغيبون في حروبهم ومغاوراتهم وتجاراتهم وهن يخلفنهم في البيوت والمنازل".[٢]

فالنساء ومن في حكمهن خالفون ، أي متخلفون وليسوا مخلفين ، فتخلفهم ليس فيه ذم وتحقير لهم.

وتفسير "المخلفون" بالمنافقين الذين خلفهم الرسول لا يتعارض مع قوله الله سبحانه في كعب ابن مالك وصاحبيه الذين تاب الله عليهم ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ﴾[٣] لأن "خُلِّفوا" بالبناء للمجهول "بمعنى" خلف أمرهم وأخر عن أمر أبى لبابة وأصحابه حيث لم يقبل منهم معذرة مثل أولئك ولا ردت، ولم يقطع في شأنهم بشيء إلى أن نزل الوحي بهم، فالإسناد إليهم إما مجازاً أو بتقدير مضاف في النظم الجليل، وقد يفسر المتعدي باللازم أي الذين تخلفوا عن الغزو"[٤] وبعد هذا التطواف حول الفرق بين مخلّف وخالف بمعنى متخلف يتأكد لنا أن اسم المفعول "المخلفون" أضفى على المنافقين ذما وتحقيراً ، فهم مهملون متركون لا يعتد بهم .

ومن التعبير باسم المفعول للمبالغة في ذم وتحقير المفعول به قوله تعالى: ﴿ ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مُفْرَطُون ﴾[٥] تكشف الآية عن جناية من جنايات المشركين ،

١ ـ سورة التوبة: ٨٧ .

٢ ـ معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/٢١٠ ـ ٢١١ .

٣ ـ سورة التوبة: ١١٨ .

٤ ـ روح المعاني ١١/٤١ .

٥ ـ سورة النحل : ٦٢ .

وهي أنهم ينسبون إلى الله عز وجل البنات ، حيث جعلوا الملائكة بنات الله مع كراهتهم البنات وحبهم البنين ، ومع هذه الجناية يحكمون لأنفسهم بالعاقبة الحسنى كذبا وبهتانا ، فرد الله فريتهم وجعل النار مثواهم .

وموضع حديثنا في الآية هو قوله تعالى: ﴿ وأنهم مُفْرطون ﴾ فمفرطون اسم مفعول من أفرط المعدى بالهمزة، تقول: أفرطته إلى كذا، إذا قدمته إليه، وفعله اللازم فرط إذا تقدم تقدما بالقصد. ويقال فارط وفرط للمتقدم في طلب الماء، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام «أنا فرطكم على الحوض»[1] وفُرَّاط القوم متقدموهم ، قال القطامي:

فاستعجلونا وكانوا من صحابتنا * كما تعجل فُرّاط لِوُرّاد.[2]

فالكفار عليهم اللعنة مفرطون إلى النار "أي مقدمون إلى النار معجل بهم إليها"[3] فهم أول فوج يلقى في النار ، قدموا على غيرهم من الأفواج لتوغلهم في الضلالة وتعدد جناياتهم ؛ وهذه مرتبة من العذاب أشد إيلاما ، لأنهم أول من يصلى لهيبها.

ويجوز أن يكون معنى "مفرطون" منسيون فيها أبداً من أفرطت فلانا خلفي إذا تركته ونسيته".[4] فهم لا نحطاط شأنهم مؤخرون عن ساحة الكرامة ومراتب الزلفى . وقد قرئ "مفرَّطون" بتشديد الراء وفتحها ، من فرَّطته إذا قدمته ، وهذه القراءة تتفق مع القراءة الأولى في المعنى وتزيد عنها في الدلالة على تكرار الفعل مرة بعد مرة ؛ لأن زيادة المبنى تتبعها زيادة المعنى .

---

١ ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم: ٣٩٠ .
٢ ـ معجم مقاييس اللغة ٤٩٠ .
٣ ـ روح المعاني : ١٧٢/١٤ .
٤ ـ السابق: ١٧٤/١٤ .

وقرئ "مُفْرِطون" بكسر الراء وتخفيفها ، من أفرط في الأمر إذا تجاوز الحد فيه ، فهو مُفْرِط " وقرئ بكسر الراء وتشديدها من فرط في الأمر إذا قصر.[١]

ومعنى القراءتين على صيغة اسم الفاعل أن الكفار يفعلون الفرط إما بمجاوزة الحد وإما بالتقصير، والآخرة دار جزاء لا عمل فيها ، وإنما الأعمال في الدنيا ، ففعلهم الفرط والتفريط وصف لهم في حياتهم الدنيا جاء في سياق الحديث عنهم يوم القيامة ؛ لأنه معطوف على قوله ﴿ لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون ﴾ على طريقة المجاز المرسل باعتبار ما كانوا عليه في الدنيا ، كما في قوله تعالى: ﴿ إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ﴾.[٢]

## الدلالة على حصول الفعل على وجه الجبر والاضطرار وليس على وجه الاختيار:

قال تعالى: ﴿ أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين ﴾.[٣]

تنكر الآية الكريمة التشابه بين أهل الإيمان وأهل الكفر والضلال ، وتثبت البون الشاسع بين ما أعده الله لعباده المؤمنين في الآخرة من ألوان النعيم الدائم وبين متاع الكافرين في الحياة الدنيا ثم العذاب الشديد لهم في الآخرة.

---

١ ـ تنظر القراءات في تفسير أبي السعود ١٢٢/٥ .

٢ ـ سورة طه: ٧٤ .

٣ ـ سورة القصص: ٦١ .

وموضع الحديث هو كلمة "المحضرين" على صيغة اسم المفعول من أحضره إلى كذا فهو محضر.

والتعبير بـ"المحضرين" دون الحاضرين مثلا أفاد أن هؤلاء الكفار لا يحضرون إلى النار طواعية واختياراً ، وإنما يحضرون إليها جبراً وقهراً وعنفا على وجه الإذلال والإهانة ، فهم مجرمون؛ والمجرم لا يحضر إلى ساحة العقاب بنفسه وإنما يحضره محضر ، فالتعبير باسم المفعول أفاد شدة التنكيل والإذلال لهؤلاء الكافرين ، ولذلك غلب لفظ "محضر" في أهل العقاب ، قال أبو حيان "وغلب لفظ المحضر في المحضر إلى النار.[1] أقرأ قوله تعالى : ﴿ وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون﴾[2] وقوله: ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون .. لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون ﴾.[3] وقوله: ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون ﴾[4] ، وقوله ﴿ ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين ﴾.[5] وقوله ﴿ والذين يسعون في آياتنا معاجزين أولئك في العذاب محضرون ﴾.[6]

فالمراد بالمحضرين في كل الآيات السابقة الذين يحضرون إلى العذاب ، وهذا ظاهر "وهناك موضعان ورد فيهما لفظ "محضرون" وظاهرهما يدل على أن المراد بهما الخلق جميعا مؤمنهم وكافرهم ، وهما قوله تعالى: ﴿ وإن كل لما جميع لدينا محضرون ﴾[7] وقوله ﴿ إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع

---

١ ـ تفسر البحر المحيط ١٢٧/٧ .
٢ ـ سورة الروم: ١٦ .
٣ ـ سورة يس: ٧٤ ـ ٧٥ .
٤ ـ سورة الصافات: ١٥٨ .
٥ ـ الصافات: ٥٧ .
٦ ـ سورة سبا: ٣٨ .
٧ ـ سورة يس ٣٢ .

لدينا محضرون ﴾[١]. ولكن التأمل في سياق الآيتين يرجع حملهما على الكافرين ، فقد جاءت الآية الأولى عقب قوله: ﴿ ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون ﴾[٢] فالإنكار موجه إلى هؤلاء الكافرين الذين لم يعتبروا بهلاك الأمم السابقة ، وقد نقل عن ابن سلام أن "كل" في قوله "وإن كل" عبارة عن الكفرة ، فمعنى "محضرون "معذبون".[٣]

وجاء قبل الآية الثانية بعدة آيات قوله ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾[٤] فهم ينكرون البعث ويستبعدون وقوعه ، وجاء بعدها حديث عن أصحاب الجنة وألوان النعيم التي أعدت لهم في قوله تعالى: ﴿ إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون ﴾[٥]. فالخلاصة أن لفظ "محضر" لم يستعمل إلا مع أهل العذاب لما فيه من دلالة على قهرهم وإذلالهم .

ونعود إلى الآية التي بدأنا بها وهي ﴿ ثم هو يوم القيامة من المحضرين ﴾ فنجد أن من أسرار التعبير باسم المفعول ـ إضافة إلى ما سبق ـ الدلالة على تحقق وقوع إحضارهم حتما، وأنه ثابت لا ينفك عنهم وأنه مسند إليهم على وجه التأكيد أو على وجه القصر والاختصاص حسبما أفاد تقديم المسند إليه "هو" على" "المحضرين" كل هذه المعاني لا تتأتى لو قيل ثم أحضرناه يوم القيامة .

ومما يقرب من هذا المعنى قوله تعالى: "يوم تجد كل نفس ما عملت من

---

١ ـ سورة يس: ٥٣ .

٢ ـ سورة يس: ٣١ .

٣ ـ روح المعاني ٦/٢٣ .

٤ ـ سورة يس: ٤٨ .

٥ ـ سورة يس: ٥٥ .

خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد ﴾.[1]

فما عملته كل نفس من خير أو شر تجده محضرا يوم القيامة في صحف أعمالها ، أو محضراً ظاهراً في صور ، أو جزاء أعمالها محضراً . وقد عبر عن حضور الأعمال باسم المفعول "محضراً" ولم يعبر باسم الفاعل "حاضرا" كما جاء في قوله تعالى: ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ﴾.[2] فما السر في ذلك ؟ السر في ذلك والله أعلم أن اسم المفعول أفاد أن فاعلا فعل الإحضار ، أي أن الإحضار له فاعلون مكلفون به ، وهذا يدل على تهويل هذا العمل وتفخيمه ، قال أبو السعود: : "وفيه من التهويل ما ليس في "حاضرا"[3] والسياق في آية آل عمران اقتضى هذا التهويل المفاد من اسم المفعول ، حيث الحديث عن وجدان كل نفس على العموم سواء كانت مؤمنة أم كافرة ما عملته من خير سواء كان قليلا أم كثيراً ، وما عملته من شر على العموم . فعموم الواجدين وعموم الأعمال المحضرة ناسبه التعبير باسم المفعول لما فيه من تهويل هذا الأمر ، أما آية الكهف فجاءت في سياق الحديث عن المجرمين وأعمال السوء التي عملوها فقط فجاء التعبير باسم الفاعل "حاضرا" لأنه ليس فيه ما في آل عمران من عموم يقتضي التهويل ، فما عملوه من سوء يجدونه حاضراً بدون الإشارة إلى أن هناك فاعلا مكلفا به .

---

١ ـ سورة آل عمران: ٣٠ .

٢ ـ سورة الكهف: ٤٩ .

٣ ـ تفسير أبي السعود ٢/٢٤ .

ومن هذا القبيل حديث القرآن عن وقوف أهل الكفر والضلال يوم القيامة في ساحة الحساب في قوله تعالى: ﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول .. ﴾[١] فالظالمون "موقوفون" وليسوا واقفين ، فهم لم يقفوا من أنفسهم ، وإنما وقفتهم الملائكة أي حبستهم ومنعتهم من مغادرة ساحة الحساب ، وفي هذا ما فيه من شدة الهول وبشاعة المنظر ومرارة الندم وخزي الذلة ، ومن يقف مثل هذا الموقف وتعرض عليه جناياته يحاول الفرار منه ، وأنى له هذا وهو موقوف على وجه الجبر والاضطرار . وهذا المعنى المفاد من استعمال اسم المفعول "موقوفون" يتفق مع ما جاء في القرآن من استعمال الفعل وقف ، فلم يستعمل إلا مع أهل الكفر والضلال وجاء بالبناء للمجهول ليدل على أنهم وقفهم واقف ، وذلك في قوله ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ﴾[٢] وقوله : ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق ﴾[٣]، وجاء أمراً للملائكة بوقفهم وحبسهم في ساحة الحساب للسؤال وذلك في قوله ﴿ وقفوهم إنهم مسئولون ﴾[٤] فالفعل واقع عليهم في كل المواقع ولم يقفوا من أنفسهم إذلالاً لهم وتصويراً لشناعة منظرهم وسوء حالهم . ومن عطاء النظم في قوله﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون ﴾ عموم الخطاب في قوله "ترى" فشناعة منظر هؤلاء الظالمين لا تخفى على أحد من أهل المحشر ، فكل من تتأتى منه الرؤية يرى سوء حالهم وقبح منظرهم "وحذف جواب "لو" لتذهب النفس في تقديره كل مذهب، أي

---

١ ـ سورة سبا: ٣١ .
٢ ـ سورة الأنعام : ٢٧ .
٣ ـ سورة الأنعام: ٣٠ .
٤ ـ سورة الصافات: ٢٤ .

لرأيت أمراً غاية في الفظاعة والحقارة ، والتعبير بـ"الظالمون" بدل ضميرهم لتسجيل صفة الظلم عليهم والإشارة إلى سبب ما هم فيه من هول.

## تنزيه الفاعل عن إسناد الفعل إليه تأدبا في الخطاب:

قال تعالى: ﴿ اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾.[1]

الدعاء مظهر من مظاهر العبودية لله سبحانه ، وهو خلاصة العبادة ؛ لأنه إقرار من المخلوق بحاجته إلى الخالق ، والدعاء المذكور في الآيتين من أنفع أدعية المؤمنين ، فهم يدعون ربهم أن يهديهم الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه ، وهو طريق الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين لا طريق الذين لعنهم الله وغضب عليهم - وهم اليهود ، ولا طريق أهل الضلال وهم النصارى.

وموضع الحديث في الآيتين هو التعبير باسم المفعول في قوله: ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ دون التعبير بالفعل مبنيا للمعلوم فلم يقل غير الذين غضبت عليهم ، كما قال ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ فلم أسند فعل الإنعام إلى ضمير لفظ الجلالة سبحانه بدون حذف الفاعل ، وأسند فعل الغضب إلى ضمير المفعولين بعد حذف الفاعل على صيغة اسم المفعول ؟ .

والجواب أن التعبير باسم المفعول حقق فائدة عظيمة وهي عدم إسناد الأفعال التي فيها ضرر وعقاب ومشقة وإيلام إلى الله سبحانه تأدبا في

---

١ - سورة الفاتحة: ٦ ، ٧ .

الخطاب ، فلا يسند إليه سبحانه على لسان عباده المؤمنين إلا أفعال الخير والإحسان قال العلامة أبو السعود : "والعدول عن إسناد الغضب إليه تعالى كالإنعام جرى على منهاج الآداب التنزيلية في نسبة النعم والخيرات إليه عزّ وجلّ دون أضدادها"[١] . وهذه خاصية من خصائص أسلوب القرآن الكريم ، تعلمنا كيف يكون خطاب المؤمنين مع ربهم ، فلا نسند إليه سبحانه إلا أفعال البر والخير والرحمة والإحسان مع أن جميع الأفعال خيرها وشرها من عند الله سبحانه .

تأمل حديث سيدنا إبراهيم عن ربه في قوله تعالى: ﴿ الذي خلقني فهو يهدين . والذي هو يطعمني ويسقين . وإذا مرضت فهو يشفين ﴾.[٢] تجد أن سيدنا إبراهيم قد أسند الخلق والهداية والإطعام والسقيا إلى الله سبحانه وكلها منفعة وإحسان من الله إليه ، وأسند المرض إلى نفسه فقال "إذا مرضت" ولم يقل وإذا أمرضني، لأن المرض ضرر يلحق النفس فلم يسنده إلى ربه في الظاهر مع أنه من عند الله لمراعاة الأدب في الخطاب . وتأمل حديث الخضر مع موسى عليه السلام ، فقد أسند إرادة عيب السفينة إلى نفسه فقال: ﴿ فأردت أن أعيبها ﴾.[٣]، وأسند إرادة بلوغ الغلامين أشدهما ليتمكنا من استخراج كنزهما إلى الله سبحانه فقال: ﴿ فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما ﴾[٤] ، حتى مؤمني الجن انتهجوا هذا النهج في حديثهم عن ربهم فقالوا: ﴿ وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم

---

١ ـ تفسير أبي السعود ١٩/١ .

٢ ـ سورة الشعراء: ٧٨ ـ ٨٠ .

٣ ـ سورة الكهف: ٧٩ .

٤ ـ سورة الكهف: ٨٢ .

رشداً ﴾[1]. وتأمل البناء للمجهول في قولهم "أريد" ولم يقولوا أراده ربهم كما قالوا في جانب الرشد . ونعود إلى آية الفاتحة مرة أخرى فنجد أن من فوائد التعبير باسم المفعول إضافة إلى ما سبق ـ الدلالة على عموم الفاعل، فأهل الضلال مغضوب عليهم من الله سبحانه ومن عباده المؤمنين في كل زمان ، "فحذف فاعل الغضب وقال "المغضوب عليهم" لما كان للمؤمنين نصيب من غضبهم على من غضب الله عليه بخلاف الإنعام فإنه لله وحده".[2]

ومن فوائد التعبير باسم المفعول أيضاً إفادة الثبوت والدوام ، فغضب الله على هؤلاء ثابت لا يتبدل ودائم لا ينفك عنهم ، وهذا المعنى لا يتحقق لو قيل ؛ غير الذين غضب عليهم بالتعبير بالفعل مع حذف الفاعل والبناء للمجهول.

## الدلالة على أن الحكم المقصود يقتضي كون الفعل واقعا عليه لا واقعا منه:

قال تعالى: ﴿ والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليما حكيماً . ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت

---

١ ـ سورة الجن: ١٠ .

٢ ـ بدائع الفوائد لابن القيم ٢/٢٠ .

منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم ﴾.[١] أضافت الآية الأولى المحصنات من النساء إلى المحرمات اللاتي ذكرن في الآية السابقة ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم ﴾[٢] ثم بينت أن نكاح غيرهن من الحرائر حلال لهم ، ورخصت الآية الثانية لغير القادرين على نكاح الحرائر نكاح الأمة المؤمنة ، ثم بينت حد الأمة الزانية ـ سواء كانت بكراً أم ثيباً ـ بأنه نصف حد الحرة البكر وهو خمسون جلدة .

وقد ذكرت كلمة "محصنات" في الآيتين أربع مرات وجاءت كلها على صيغة اسم المفعول على قراءة الجمهور ، كما جاء لفظ "محصنين" لجماعة الذكور باسم الفاعل .

والمحصِن بكسر الصاد على اسم الفاعل يقال إذا تصور حصنها من نفسها ، والمحصَن بالفتح على اسم المفعول يقال إذا تصور حصنها من غيرها .[٣]

فالمرأة تحصن نفسها فهي محصنة ، أي عفيفة أحصنت نفسها عن الوقوع في الفاحشة قال تعالى: ﴿ ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها ﴾.[٤]

والمرأة يحصنها غيرها فهي محصنة باسم المفعول ، وذلك بأن يحصنها زوجها عن الوقوع فيما يغضب الله ويحصنها من أن يتزوجها رجل آخر .

---

١ ـ سورة النساء: ٢٤ ، ٢٥ .

٢ ـ سورة النساء : ٢٣ .

٣ ـ معجم مفردات زلفاظ القرآن الكريم ص : ١٢٠ .

٤ ـ سورة التحريم: ١٢ .

ويقال ؛ أحصن الرجل فهو محصن بكسر الصاد لا غير، ولا يقال محصَن بالفتح ، ولذلك لم يقرأ أحد "محصنين غير مسافحين" بفتح الصاد.[1]

ومعنى المحصنات في قوله: ﴿ والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم ﴾ النساء المتزوجات ، فأزواجهن منعهن من أن يتزوجهن رجل آخر ، وهذا النوع من المحصنات يحرم نكاحه ولذلك عطف على المحرمات السابقة .

ومعنى المحصنات في قوله: ﴿ ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات ﴾ الحرائر ، بدليل مقابلتهن بالمملوكات بعده في قوله ﴿ فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات ﴾ فالحرية أحصنتهن عن ذل العبودية.[2]

ومعنى "محصنات" في قوله ﴿ وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ﴾ عفائف ، فعفتهن أحصنتهن عن الوقوع فيما يغضب الله .

ومعنى المحصنات في قوله : ﴿ فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب﴾ الحرائر الأبكار، فالحرة البكر حدها مائة جلدة ، والأمة سواء كانت بكراً أم متزوجة حدها خمسون جلدة ، ومعنى محصنين في قوله : ﴿محصنين غير مسافحين ﴾ أحصنوا أنفسهم عن الوقوع فيما يغضب الله .

وقد ذكر أحمد بن فارس نقلاً عن ثعلب : "كل امرأة عفيفة فهي محصَنة ومحصِنة ، وكل امرأة متزوجة فهي محصَنة لا غير ، قال ؛ ويقال لكل ممنوع محصن"[3] فالمرأة العفيفة محصنة بالفتح أي ممنوعة من أن ينال منها رجل

---

١ ـ التحرير والتنوير ٥/٥ .

٢ ـ روح المعاني ٧/٥ .

٣ ـ معجم مقاييس اللغة ٦٩/٢ .

إلا عن طريق الحلال . فعفتها أحصنتها من الوقوع في الحرام . وهي محصنة بالكسر أي أحصنت نفسها من فعل الخطيئة ، والمرأة المتزوجة محصنة بالفتح لا غير ، أي وقع عليها الإحصان من زوجها .

وقد أجمع القراء كما قال أبو عبيدة على فتح الصاد من قوله : ﴿والمحصنات من النساء ﴾ وقرىء في سائر المواضع بالفتح والكسر.[١]

والسر في ذلك أن المحصنات في قوله ﴿والمحصنات من النساء﴾ معطوفة على الأصناف المحرمة، ولا وجه لتحريمهن إلا على معنى أن أزواجهن أحصنهن ، فالإحصان واقع عليهن من أزواجهن ، فهن لم يفعلن الإحصان بأنفسهن ، وإنما إحصانهن بسبب خارجي عنهن وهو إحصان التزويج ، بخلاف المواضع الأخرى فالإحصان فيها إحصان داخلي غير ظاهر سواء كان الإحصان فيها سببه العفة أو الحرية ، ولذلك قرئت المواضع الثلاثة بالفتح والكسر على اسم المفعول واسم الفاعل، ولا مانع من التزوج بهذه الأنواع من المحصنات ... فحكم تحريم النكاح اقتضى اسم المفعول ولا يصح أن يكون اسم فاعل... وإذا نظرنا إلى حكم آخر وجدنا أن الحكم اقتضى التعبير باسم الفاعل دون اسم المفعول ، أي أن الحكم اقتضى أن يقع الفعل منه لا عليه ، وذلك في حكم الزنا ، فالملاحظ أن القرآن الكريم تحدث عن الرجل والمرأة إذا فعلا الزنا بصيغة اسم الفاعل فقال سبحانه: ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾[٢] ولم يقل المزنية أو المزني بها ؛ لأن إقامة الحد تقتضي أن تفعل هي الزنا ، فالرغبة في الزنا حاصلة من الرجل والمرأة ، فكل منهما فعل بالآخر ، ولكون المرأة في الغالب هي التي تمكن الرجل منها

١ - معجم مفردات الفاظ القرآن ص : ١٢٠ .

٢ - سورة النور : ٢ .

وتعرض نفسها عليه بإغرائه قدمت على الرجل ، فإقامة حد الزنا اقتضى أن يقع الفعل من الرجل والمرأة ، ولذلك لم يرد في القرآن الكريم التعبير باسم المفعول عن هذه الفاحشة ، ولهذا إذا فعل رجل الزنا بامرأة على كره منها ولم تستطع منعه لا يقام عليها الحد ؛ لأنها حينئذ لا تكون زانية وإنما مزني بها ، وقيل إن الرجل إذا أكره على الزنا لا يكون زانيا أيضاً . فاستعمال الصيغة في القرآن الكريم لها دلالتها وسياقها ، ويستحيل أن تصلح صيغة أخرى مكانها ، وهذا من أسرار بلاغة القرآن ونعود إلى آية النساء ﴿ والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم ﴾ فنجد أن تقييد المحصنات بقوله "من النساء" مع أن المحصنات لا تكون إلا للنساء ، فهي جمع مؤنث لإفادة تأكيد عموم الحكم ، وأنه لا يختص ببعضهن ، والاستثناء في قوله "إلا ما ملكت أيمانكم" استثناء متصل أي أنه يحل زواج المحصنات السبايا على خلاف بين العلماء إذا سبين مع أزواجهن أو سبين وحدهن .

## التجوز في الإسناد لتحقيق نكتة:

قال تعالى: ﴿ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستوراً ﴾.[1]

تبين الآية الكريمة أن الحق سبحانه بمقتضى حكمته جعل بين الرسول وقت تلاوته القرآن وبين المشركين حجاباً يحول بينهم وبين إدراكه ، فالحجاب وضع ساترا يمنع المشركين عن إدراك ما في القرآن من براهين وشرائع .

---

١ ـ سورة الإسراء : ٤٥ .

والملاحظة أن الحجاب وصف باسم المفعول "مستوراً" ، والحجاب ساتر ـ أي يفعل الستر والحجب ـ وليس مستوراً يقع عليه الستر . فما السر في مجيء التعبير القرآني باسم المفعول دون اسم الفاعل ؟

والجواب ؛ أن اسم المفعول أفاد المبالغة في تصوير عناد هؤلاء وإعراضهم بحيث أصبح الحجاب مستوراً بعنادهم وطغيانهم وليس ساتراً ، وإذا كان هذا حاله وهو الحاجب فكيف يكون حال المحجوب به ، قال الطاهر بن عاشور "ووصف الحجاب بالمستور مبالغة في حقيقة جنسه ، أي حجابا بالغا الغاية في حجب ما يحجبه هو ، حتى كأنه مستور بساتر آخر ، فذلك في قوة أن يقال وجعلنا حجابا فوق حجاب".[١]

فالتعبير باسم المفعول أفاد التجوز في الإسناد لتحقيق المبالغة في قوة الحجاب ، حيث أسند اسم المفعول إلى ضمير الفاعل وهو الحجاب ـ وإسناده الحقيقي أن يسند إلى ضمير المفعول ـ بعلاقة الفاعلية ، ولولا التعبير باسم المفعول ما تحقق التجوز في الإسناد وما تحققت المبالغة في تصوير عنادهم...

ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿ جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتياً ﴾.[٢] فوصف الوعد باسم المفعول "مأتيا" والوعد آتيا وليس مأتيا على طريقة التجوز بإسناد اسم المفعول إلى ضمير الفاعل وحقه أن يسند إلى المفعول به ، ونكتة التعبير باسم المفعول على طريقة المجاز العقلي . "كمال المبالغة في إنجاز وعد الله وتحقيقه ، حيث جعله مأتيا إليهم ، وكأن هناك من يحمله ويأتي به إلى المؤمنين ساعيا به إليهم.[٣]

١ ـ التحرير والتنوير ١١٧/١٥ .

٢ ـ سورة مريم: ٦١ .

٣ ـ علم المعاني د. بسيوني فيود ٦٦/١ ط أولى مطبعة السعادة.

وهذا التوجيه على إبقاء الوعد على مصدريته، أما إذا أول باسم المفعول بمعنى الموعود ، فلا يكون وصفه باسم المفعول من قبيل المجاز العقلي ، وإنما يكون من قبيل الحقيقة ، لأن الموعود وهو الجنة يقع عليه الإتيان من قبل عباد الله المؤمنين ، فهو مأتي على وجه الحقيقة .

ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا ﴾[1] فالعهد لا يسأل وإنما يسأل صاحبه عن الوفاء به فإسناد اسم المفعول إلى ضمير العهد إسناد مجازي ، حيث أسند إلى ضمير المفعول الثاني ، والفعل لا يقع عليه في الحقيقة، وإنما يقع على المفعول الأول أي سئل صاحب العهد عنه، والتجوز في الإسناد عن طريق التعبير باسم المفعول فيه تبكيت للناكث ، فالسؤال لم يوجه إليه استهانة به وإهمالا لشأنه، فهو لا يستحق شرف الخطاب ، وإنما وجه إلى العهد ، وفي ذلك حث على الوفاء بالعهد .

ويجوز أن يكون العهد مسئولا على طريقة الاستعارة المكنية ، فقد "شبه العهد بمن نكث عهده تشبيها مضمراً في النفس ، ويجعل نسبة السؤال إليه تخييلاً للاستعارة بالكناية"[2] وفيه أيضا ما في الوجه الأول من تبكيت الناكث.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت ﴾.[3]

فالموءودة لا تسأل ؛ لأنها لم تفعل ذنبا تُسْأل عنه ، وإنما يسأل وائدها عن جريمته ، فإسناد "سئلت" إلى ضمير يعود على اسم المفعول "الموءودة" إسناد

---

١ ـ سورة الإسراء: ٣٤ .

٢ ـ حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي ٣/٢٢٣ .

٣ ـ سورة التكوير : ٨ ـ ٩ .

مجازي ، حيث أسند الفعل المبنى للمجهول إلى ضمير المفعول الثاني بعد حذف المفعول الأول ، ولا وجه لوقوع السؤال عليه في الحقيقة والإسناد الحقيقي ؛ سئل الوائد عن الموءودة ،والسرفي التعبير باسم المفعول على طريقة المجاز العقلي دون اسم الفاعل على الإسناد الحقيقي هو "تسليتها وإظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها وإسقاطه عن درجة الخطاب، والمبالغة في تبكيته فإن المجنى عليه إذا سئل بمحضر الجاني ونسبت إليه الجناية دون الجاني كان ذلك بعثا للجاني على التفكر في حال نفسه وحال المجنى عليه، فيرى براءة ساحته ، وأنه هو المستحق للعتاب والعقاب ، وهذا نوع من الاستدراج واقع على طريق التعريض كما في قوله تعالى: ﴿ أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ﴾[1].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ﴾[2] فالوعد إما أن يكون صدقا وإما أن يكون كذبا ، ولا يوصف الوعد بالمصدوق أو المكذوب على الحقيقة، وإنما يوصف بالصدق أو الكذب صاحب الوعد.

فالتجوز هنا في النسبة الوصفية أي وصف الشيء بوصف صاحبه ، والسر في العدول عن المصدر كذب إلى اسم المفعول "مكذوب" هو كمال المبالغة في تحقق الوعد وإنجازه ، وتأكيد نفي الكذب عن الواعد سبحانه من أي مكذب على وجه العموم .

ويجوز أن يكون وصف الوعد بكونه "غير مكذوب" من قبيل الاستعارة

---

١ - روح المعاني ٣٠/٥٣ .

٢ - سورة هود : ٦٥ .

المكنية ــ بأن شبه الوعد بالمخاطب فيوصف بغير المكذوب تخييلا"..[1].

وهذان الوجهان مبينان على إبقاء اسم المفعول على صيغته، أما إذا أول بالمصدر أي وعد غير كذب "على أن المكذوب مصدر كالمعقول وكالمصدوقة"[2] فلا يكون فيه مجاز عقلي أو استعارة ، وإنما يكون من قبيل المجاز المرسل بعلاقة التعلق الاشتقاقي حيث أطلق اسم المفعول على المصدر . واستعمال الوعد في العقاب الذي أعده الله لثمود قوم صالح من قبيل الاستعارة التهكمية ، حيث عبر عن العذاب الذي سيقع عليهم بالوعد الذي يستعمل في الإخبار بالخير قصدا للتهكم والسخرية .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ﴾[3] فاسم المفعول "مشهود" أسند إلى ضمير اليوم ، واليوم يشهد فيه الناس الموقف ، وليس مشهودا ، فالإسناد مجازي حيث أسند اسم المفعول إلى الزمان وحقه أن يسند إلى المفعول به ، والسر في ذلك المبالغة في تهويل هذا اليوم ، فالخلائق لا تشهد فيه موقف الحشر وإنما تشهده هو . ومن فوائد التعبير باسم المفعول "مشهود" إضافة إلى ما سبق الإشارة إلى عموم الفاعل وأنه لا يختص بفريق دون فريق فجميع الخلائق من الأولين والآخرين يشهدون الموقف في هذا اليوم ، والدلالة على تحقق وقوع المشاهدة وثبوتها ؛ لأن اسم المفعول ـ كما سنذكر ـ في معنى الفعل الماضي .

واليوم يصح أن يكون مشهودا في نفسه على الإسناد الحقيقي ، وأن يكون مشهوداً فيه على المجاز، وإنما حمل التركيب على المجاز العقلي بعلاقة

---

١ ـ حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي ٥١/٣ .

٢ ـ الكشاف ٤٠٨/٢ .

٣ ـ سورة هود : ١٠٣ .

الزمانية لأن الغرض تهويل ذلك اليوم وتمييزه عن سائر الأيام، "ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه ـ على الإسناد الحقيقي ـ لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه ، فإن سائر الأيام كذلك"[١] فكل الأيام مشهودة أي مدركة ولكن هذا اليوم يتميز عن سائر الأيام بكونه مشهودا فيه الموقف الهائل ، فحمل على المجاز لإظهار تمييزه عن سائر الأيام .

أما التعبير باسم المفعول مشهود في قوله تعالى: ﴿ والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل أصحاب الأخدود ﴾[٢] فليس من المجاز العقلي وأسند اسم المفعول "مشهود" إلى ضمير يعود على العجائب والأهوال التي تشاهد في ذلك اليوم إسناداً حقيقياً ، فلفظ "شاهد ومشهود" يجوز أن يراد بالشاهد الخلائق الذين يحضرون ذلك اليوم بعد بعثهم ، وبالمشهود أهوال ذلك اليوم وعجائبه يحضرها الله سبحانه فيشاهدها جميع الخلائق ـ واسم المفعول أفاد عموم الفاعل ، فالمشاهدة لا تكون من فريق دون فريق ، فأسندت المشاهدة إلى المفعول دون الفاعل للدلالة على عموم الفاعل وعدم تحديده في واحد معين.

ويجوز أن يراد بهما الشهادة على الشيء أو له أو به من شهد على كذا أو لكذا أو بكذا واختلف العلماء في المراد بالشاهد والمشهود على هذا المعنى فقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم وأمته وقيل عيسى وأمته ، وقيل أمة محمد وسائر الأمم ، وقيل يوم التروية ويوم عرفة ، وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الأسود والحجيج ، وقيل الأيام والليالي وبنو آدم ، وعن الحسن ما من يوم إلا وينادي؛ إني يوم جديد وإني على ما يعمل في شهيد

١ ـ تفسير البيضاوي هامش على حاشية الشيخ زادة على البيضاوي ٣/٦٥ .

٢ ـ سورة البروج: ١ ـ ٤ .

فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني إلى يوم القيامة ، وقيل الحفظة وبنو آدم ، وقيل الأنبياء ومحمد صلى الله عليه وسلم"[1].

وقد أقسم الله سبحانه بيوم القيامة ومن فيه من الخلائق وما فيه من العجائب تعظيما لذلك اليوم وتهويلا لشأنه ، وتهديدا ووعيدا للمنكرين له ، وتنكير "شاهد ومشهود" إما للتعظيم حيث لا يدرك كنههما ولا يحاط بوصفهما ، أو للتكثير ، فالخلائق الذين يشهدون ذلك اليوم من الإنس والجن والملائكة لا حصر لهم ، والعجائب التي تشاهد فيه كثيرة لا تحصى .

وجاء لفظ "مشهودا" أيضا في قوله تعالى : ﴿ وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ﴾ على الإسناد الحقيقي ، حيث أسند اسم المفعول إلى ضمير المفعول به وهو القرآن ، فالقرآن مشهود، وحذف الفاعل عن طريق التعبير باسم المفعول دل على عموم الفاعل وتكثير الفائدة بجعل الجملة صالحة لأكثر من تقدير ، فقد قيل المراد "تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار أو شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء ، والنوم الذي هو أخ الموت بالانتباه ، أو كثير من المصلين ، أو من حقه أن يشهده الجم الغفير".[2]

## الدلالة على ثبوت الفعل وحصوله دفعة واحدة وعدم إرادة تجدده وحدوثه:

فرق علماء البلاغة بين التعبير عن الحدث بالفعل وبين التعبير عنه بالاسم المشتق ، فالفعل يدل على الحدوث والتجدد شيئا بعد شيء والاسم المشتق يدل على الثبوت والدوام والاستمرار ، قال الإمام عبد القاهر: "إن موضوع الاسم

---

١ ـ تفسير أبي السعود ١٣٥/٩ بتصرف.

٢ ـ تفسير البيضاوي هامش على حاشية شيخ زادة ٢٣٧/٣ .

على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء ، وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء . فإذا قلت ؛ زيد منطلق . فقد أثبت الانطلاق فعلاً له من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئا فشيئا ، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك : زيد طويل وعمرو قصير . فكما لا تقصد ههنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدد ويحدث، بل توجبهما وتثبتهما فقط ، وتقضي بوجودهما على الإطلاق ، كذلك لا تتعرض في قولك ؛ زيد منطلق . لأكثر من إثباته لزيد . وأما الفعل فإنه يقصد فيه إلى ذلك ، فإذا قلت؛ زيد ها هو ذا ينطلق ، فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءاً فجزءاً وجعلته يزاوله ويزجيه".[١]

ومن التعبير باسم المفعول للدلالة على ثبوت الفعل وحصوله دفعة واحدة قوله تعالى: ﴿ إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق. والطير محشورة كل له أواب ﴾.[٢]

فجملة "يسبحن" حال من الجبال ، "ومحشورة" حال من الطير ، والملاحظ اختلاف صيغة الحالين ، ففي جانب الجبال جاءت جملة فعلية فعلها مضارع للدلالة على تجدد التسبيح منها وحدوثه شيئا بعد شيء، ولاستحضار هذه الصورة العجيبة من تسبيح الجبال في ذهن السامع ، فكأنها مشاهدة في الحال . قال الزمخشري ؛ فإن قلت هل من فرق بين يسبحن ومسبحات ؟ قلت نعم، وما اختير يسبحن على مسبحات إلا لذلك ؛ وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالاً بعد حال ، وكأن السامع محاضر

---

١ ـ دلائل الإعجاز: ١٧٤ .

٢ ـ سورة ص : ١٨ ـ ١٩ .

تلك الحال يسمعها".[1]

وجاءت الحال في جانب الطير مفردا على صيغة اسم المفعول "محشورة" لأن المقصود الدلالة على حدوث حشر الطير جملة واحدة وثبوته ، وليس حدوثه شيئا بعد شيء؛ فحشر الطير على اختلاف أجناسها في وقت واحد ودفعة واحدة أفخم في تصوير قدرة الله سبحانه. قال الزمخشري: "وقوله "محشورة" في مقابلة "يسبحن"، إلا أنه لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من إرادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيء جيء به اسما لا فعلا ، وذلك أنه لو قيل وسخرن الطير يُحْشرن على أن الحشر يوجد من حاشرها شيئا بعد شيء ـ والحاشر هو الله عز وجل ـ لكان خلفا؛ لأن حشرها جملة واحدة أدل على القدرة."[2]

ومن أسرار التعبير باسم المفعول في الآية الكريمة إضافة إلى ما سبق الإشارة إلى تعين الفاعل؛ لأن هذا الفعل لا يكون إلا منه ، وهو الله عز وجل ، فحذف الفاعل تعظيما لشأنه، فهو سبحانه القادر على حشر أجناس الطير لسليمان عليه السلام .

ومن التعبير باسم المفعول للدلالة على الثبوت والدوام قوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون ﴾[3] ففرعون وجنوده مستمرون في ملاحقة موسى عليه السلام ، فاتباعهم ثابت لا يتوقف ولا يحدث شيئا فشيئا ، وهذا المعنى لا يتحقق لو قيل إنكم تتبعون .

---

١ ـ الكشاف ٤/٧٨ ـ ٧٩ .

٢ ـ الكشاف ٤/٧٩ .

٣ ـ سورة الشعراء : ٥٢ .

## التعبير عن فعل المستقبل باسم المفعول للدلالة على تحقق الوقوع:

من المعروف أن الفعل الماضي يدل على حدث وقع في الزمن الماضي ، والفعل المضارع يدل على حدث يقع في زمن الحال ويستمر حدوثه في المستقبل ، وقد يعدل عن ذلك فيعبر عن الماضي بلفظ المضارع، ويعبر عن المضارع بلفظ الماضي لتحقيق نكتة ، وهي في الأول استحضار الصورة في ذهن السامع ، "وموضعه ما إذا كان بعض أحوال القضية الخبرية مشتملا على نوع تميز وخصوصية ؛ لاستغراب أو أهمية ، فيعدل فيها إلى المضارع المستعمل للحال ، إيهاما للسامع حضورها حال الإخبار ومشاهدتها ، ليكون أبلغ في تحققها له ، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ﴾ فعدل عن لفظ فأصبحت إلى لفظ "فتصبح" لما ذكرنا من قصد المبالغة في تحقيق اخضرار الأرض لأهميته ، إذ هو المقصود بالإنزال."[١]

والنكتة في الثاني ؛ الدلالة على تحقق الوقوع ، فما سيحدث في المستقبل كأنه وقع وأخبر بوقوعه، ويكون ذلك "إذا كان مدلول الفعل من الأمور الهائلة المهدد المتوعد بها"[٢] أو إذا كان الخبر صادرا عن الله سبحانه فما يخبر به سبحانه لا يتخلف ، فالمستقبل عنده على درجة الماضي في تحقق وقوعه، كما في قوله تعالى: ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾[٣] وقوله: ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾.[٤]

١ ـ الإكسير في علم التفسير للطوفي: ١٤٥ .

٢ ـ السابق: ١٤٧ .

٣ ـ سورة الزمر: ٦٨ .

٤ ـ سورة النحل: ١ .

واسم المفعول يأخذ حكم الفعل الماضي ، فهو يدل على وقوع الفعل على المفعول في الزمن الماضي، قال الطوفي "ومن لواحق ذلك ؛ العدول عن المستقبل إلى اسم المفعول ؛ لتضمنه معنى الماضي"[1] فالأصل في اسم المفعول أن يأتي في الأحداث التي وقعت ، ولكن قد يعدل عن هذا الأصل فيعبر به عن أحداث لما تقع بعد وستقع في المستقبل للدلالة على تحقق وقوع الحدث وعدم تخلفه فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ﴾.[2]

بعد أن قص الحق سبحانه حديث إهلاك الأمم السابقة بظلمهم أخبر بأن في هذا الإهلاك عبرة لمن خشي عذاب الآخرة ؛ لأن هذا الإهلاك صورة مصغرة لما أعد للمجرمين في يوم القيامة ، ذلك اليوم الذي يجمع الله فيه الأولين والأخرين للحساب والجزاء ، ويشهدون فيه موقف الحشر والحساب . والمراد باليوم في قوله ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس ﴾ يوم القيامة، وقد وصف باسم المفعول "مجموع له الناس" ، وجمع الناس في ذلك اليوم أمر سيحدث في المستقبل ، فظاهر المقام يقتضي التعبير بالفعل المضارع كما في قوله تعالى: ﴿ يوم يجمع الله الرسل فيقول ما ذا أجبتم ﴾[3] وقوله ﴿ قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ﴾ [4] فالتعبير باسم المفعول على خلاف مقتضى الظاهر لتحقيق نكتة وهي الدلالة على تحقق وقوع جمع الناس في ذلك اليوم ، وثبوته وعدم تخلفه، فهو واقع لا مرد له ، قال

---

١ ـ الإكسير في علم التفسير: ١٤٧ .

٢ ـ سورة هود: ١٠٣ .

٣ ـ سورة المائدة: ١٠٩ .

٤ ـ سورة الجاثية: ٢٦ .

البيضاوي "أي يجمع له الناس، والتعبير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم ، وأنه من شأنه لا محالة ، وأن الناس لا ينفكون عنه، فهو أبلغ من قوله ﴿ يوم يجمعكم ليوم الجمع ﴾[١] ومراد البيضاوي بقوله "هو أبلغ" المبالغة في الدلالة على حدوث الفعل، وليس المراد البلاغة بمعنى المطابقة لمقتضى الحال ، لأن كل لفظ في القرآن الكريم جاء مطابقا للمقام الذي قيل فيه ولا يصلح فيه غيره والقرآن الكريم على درجة واحدة في البلاغة ، وليس بعضه أبلغ من بعض .. فاسم المفعول دل على تحقق حصول الفعل ووقوعه ، فهو يتضمن معنى الفعل الماضي "جمع" ويزيد عن الفعل الماضي بدلالته على ثبات الفعل ولزومه ، وعلى ثبات ولزوم إسناد الفعل إلى المفعول ، "فإن اسم المفعول على ثبات الأمرين ولزومهما بخلاف الفعل".[٢]

وقد ذهب الطوفي إلى أن الفعل الماضي أدل على تحقق الوقوع من اسم المفعول وعدل عنه في الآية إلى اسم المفعول لتحقيق المناسبة اللفظية في الصيغة بين مجموع ومشهود ، وذلك في قوله "فإن قلت الماضي أدل على هذا المقصود من اسم المفعول ، فلم عدل عنه إلى ما دلالته أضعف ؟ قلت لتحصيل المناسبة بين مجموع ومشهود في استواء بنائهما ، طلبا للتعديل في العبارة ، ولولا هذا المعارض لكان الإتيان بلفظ : جمع الناس فيه أولى في حكم هذه الصياغة"[٣].

والراجح في سر العدول عن الماضي إلى اسم المفعول هو ما ذكرناه من الدلالة على ثبات الفعل وثبات الإسناد مع تحقيق الفائدة اللفظية ، فبلاغة

---

١ - تفسير البيضاوي هامش على حاشية الشيخ زادة ٣/٦٥ .

٢ - حاشية الشيخ زادة ٣/٦٥ .

٣ - الإكسير في علم التفسير: ١٤٨ .

القرآن أفخم وأعظم من أن تقف عند حصول أمر لفظي فقط كما ذهب الطوفي ..

ومن التعبير باسم المفعول للدلالة على تحقق وقوع الفعل وثبوته قوله تعالى : ﴿ جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب ﴾[1] جاءت الآية الكريمة في سياق الحديث عن كفار مكة الذين أنكروا أن يكون الرسول مبعوثا من عند الله يتنزل عليه الوحي من السماء ، وهو في نظرهم لا يتميز عنهم في شيء ﴿أأنزل عليه الذكر من بيننا ﴾[2] فأخبرت الآية الكريمة بهزيمة هؤلاء الكفار وكسر شوكتهم في يوم بدر أو في يوم الخندق أو يوم فتح مكة ، وهزيمة هؤلاء الكفار لم تكن وقعت وقت نزول الآية ؛ لأن السورة مكية، وهزيمتهم وقعت بعد نزول الآية ، فالمقام من حيث الظاهر يقتضي الفعل المضارع ، وعدل عنه إلى اسم المفعول ـ وهو بمنزلة الفعل الماضي ـ لإفادة تحقق وقوع الهزيمة وثباتها ، وأنها حاصلة لهم لا محالة، فالحق سبحانه أخبر بوقوعها وما أخبر به سبحانه لا يتخلف ، قال ابن عاشور "ووصف بـ مهزوم" على معنى الاستقبال ، أي سيهزم، واسم المفعول كاسم الفاعل مجاز في الاستقبال ، والقرينة حالية ، وهو من باب استعمال ما هو للحال في المستقبل تنبيها على تحقق وقوعه، فكأنه من القرب بحيث هو كالواقع في الحال".[3]

واسم المفعول بمنزلة الماضي ، وليس بمنزلة المضارع الحالي كما قال ابن عاشور ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات

---

١ ـ سورة ص : ١١ .

٢ ـ سورة ص: ٨ .

٣ ـ التحرير والتنوير ٢٣/٢١٦ .

يوم معلوم ﴾[١] فجمع الأولين والآخرين أمر سيحدث يوم القيامة ؛ وعبر عنه باسم المفعول لإفادة تحقق وقوعه .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ﴾[٢] فالبعث أمر سيحدث بعد الموت وعبر باسم المفعول ـــمبعوثونـــ لتحقق وقوعه ، فهو ثابت ولازم لا ينفك عنهم ...

## اسم المفعول من غير الثلاثي :

من المعلوم أن اسم المفعول يصاغ من الفعل الثلاثي على وزن مفعول ، ومن الفعل الرباعي على صيغة المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وفتح ما قبل الآخر .

واختلاف الصيغتين يتبعه اختلاف في صورة المعنى وقوته ، فاسم المفعول من الرباعي أقوى دلالة على زيادة المعنى من اسم المفعول من الثلاثي ؛ لأن زيادة اللفظ يتبعها زيادة في المعنى.

قال ابن الأثير "اعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن أكثر منه فلابد من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا ؛ لأن الألفاظ أدلة على المعاني ، وأمثلة للإبانة عنها ؛ فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني ... وهذا لنوع لا يستعمل إلا في مقام المبالغة"".[٣]

---

١ ـ سورة الواقعةك ٤٩ ـ ٥٠ .

٢ ـ سورة هود : ٧ .

٣ ـ المثل السائر ٢٤١/٢ ط ثانية دار نهضة مصر.

فممدد يدل على زيادة في المعنى من ممدود ، ومفتح يدل على زيادة في الفتح من مفتوح ، وهكذا فكل اسم مفعول من الرباعي يفيد زيادة في المعنى لا توجد في صيغة الثلاثي ، والسياق والمقام هو الفيصل في استعمال هذه الصيغة دون تلك.

وزيادة المعنى من زيادة اللفظ تتحقق إذا كان في الكلمة دلالة على الحدث كالفعل وما يشتق منه، قال ابن الأثير "والزيادة في الألفاظ لا توجب زيادة في المعاني إلا إذا تضمنت معنى الفعلية ، كاسم الفاعل واسم المفعول وكالفعل نفسه".[1]

وكون اسم المفعول من الرباعي يفيد زيادة في المعنى عن صيغة مفعول ليس على إطلاقه، وإنما لابد من تحقق شرط وهو ؛ جواز صياغته من الثلاثي ومن الرباعي ، فعدل عن صيغة الثلاثي إلى صيغة الرباعي لتحقيق نكتة . ومعنى هذا إذا تعين صياغته من الرباعي فلا يفيد حينئذ زيادة في المعنى ، فمثلاً ؛ مرسلون ومخلصون ومطهر ومعطل لا تدخل فيما نحن فيه ؛ لأن الصيغة متعينة ولم تنقل من صيغة الثلاثي؛ لأن الثلاثي لازم لا يأتي منه اسم المفعول .

ويدخل تحت زيادة المعنى لزيادة اللفظ التضعيف ، أي تضعيف عين الفعل أو ما في معناه، فالتضعيف يدل "على وقوع الفعل مرة بعد مرة ، وشرطه أن يكون في الأفعال المتعدية قبل التضعيف".[2]

وعند التأمل نجد أن اسم المفعول من المادة الواحدة جاء من الفعل الثلاثي

---

١ ـ السابق ٢/٢٤٢ ـ ٢٤٣ بتصرف قليل.

٢ ـ البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣/٣٥ ط ثانية عيسى البابي الجلبي.

على وزن مفعول في سياق، وجاء من الرباعي في سياق آخر ، واختلاف الصيغتين يتبعه اختلاف في درجة المعنى وصورته .

نأخذ مثلاً قوله تعالى حكاية عن قوم ثمود لنبي الله صالح ﴿ قالوا إنما أنت من المسحرين ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين ﴾[١] فقوم ثمود ينكرون أن يكون صالح مرسلا من عند الله، وبنوا إنكارهم على وهم اعتقدوه وهو أن الرسول لا يكون بشرا ، وإنما يكون ملكا .

وقد حكموا على سيدنا صالح بأنه من المسحرين . والمسحرين جمع مُسَحّر اسم مفعول من سَحَّره الرباعي بتضعيف العين ، أي فسد عقله من شدة السحر الذي وقع عليه ، أو "جعل له سحر يتوصل بلطفه ودقته إلى ما يأتي به ويدعيه". [٢] وقيل ؛ المسحر الذي له سحر ، أي رئة ، ومن كان ذا سحر لم يجد بُداً من مطعم ومشرب"[٣] ، فالتعبير كناية عن كونه بشراً.

فمسحر اسم مفعول من الرباعي سحّر ولم يأت من الثلاثي سَحَرَ كما في قوله تعالى حكاية عن المشركين قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً ﴾.[٤] واختلاف الصيغتين يتبعه اختلاف في درجة المعنى ، فقوم صالح بالغوا في وصف تأثير السحر على عقله، فهو في نظرهم ليس مجرد مسحور سُحِر سحراً عاديا ، وإنما سحر سحراً كثيراً قويا مرة بعد مرة فتمكن السحر منه وأذهب عقله كلية فأصبح مشهورا بهذه الصفة عندهم معروفا بها، ولذلك عبروا بإنما التي تستعمل في

---

١ ـ سورة الشعراء: ١٥٣ ـ ١٥٤ .

٢ ـ معجم مفردات ألفاظ القرآن ٢٣١ .

٣ ـ مقاييس اللغة ١٣٨/٣ .

٤ ـ سورة الفرقان: ٨ .

المعاني المعلومة أو ما ينزل منزلة المعلوم ، ولشدة جحودهم أكدوا هذا الوصف بجملة ﴿ ما أنت إلا بشر مثلنا ﴾ فقوم صالح أكثر عنادا وجحوداً من مشركي مكة الذين لم يبالغوا في وصف النبي بالسحر .

ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾.[1]

تقرر الآية الكريمة حقيقة لا تتخلف وسنة لا تتبدل وهي أن الهروب من مظان الموت لا يمنع وقوعه على من حان أجله، فالموت لا يخضع للأسباب وإن تناهت في القوة ، فهو يأتي من انتهى أجله في أي مكان كان فيه ، في الحرب وفي السلم ، وفي السفر والحضر ، وفي الحصون المنيعة وفي الأماكن العادية ، فعلى المسلم أن يستجيب لداعي الجهاد ، فالقتال في سبيل الله لا يعجل بموته، وفوق هذا له الثواب العظيم والمنزلة الرفيعة عند الله .

وقد وصفت البروج التي لا تمنع الموت من إدراكهم بقوله "مشيّدة" على صيغة اسم المفعول من الرباعي شيَّد ، وقرىء مشيدة بصيغة اسم الفاعل على طريقة المجاز العقلي بعلاقة المفعولية ، حيث أسند اسم الفاعل إلى ضمير المفعول به، وحقه أن يسند إلى الفاعل ، وقرئ "مشيدة" بصيغة اسم المفعول من الثلاثي [2] ..

ووصف البروج - أي القصور - باسم المفعول من الرباعي "مشيدة" أفاد المبالغة في ارتفاع هذه القصور ، وإحكام قواعدها وصلابة بنائها ، وشدة عناية المشيدين بها وعكوفهم على إتمامها ، ففعل التشييد وقع منهم مرة بعد

---

١ - سورة النساء : ٧٨ .

٢ - انظر القراءات في تفسير أبي السعود ٢٠٤/١ .

مرة حتى أصبحت حصونا منيعة ، ومع كل هذا فالموت يدركهم فيها .

ولو كنت في غِمْدان يَحْرُس بابَه * أراجـــيلُ أحبُوشٍ وأسودُ آلف

إذا لأتتني حيث كنتُ منيتي * يَحُثُ بها هاد لإثري قائف[1]

فسياق الآية الكريمة يقتضي التنويه بقوة هذه القصور وصلابتها ، وهي مع هذه القوة وتلك الصلابة لا تمنع الموت من إدراكهم ، وإذا كان الموت يدركهم وهم متحصنون في هذه القلاع المتينة فإدراكه لهم وهم فيما دونها أقوى تحققا وأكثر وقوعاً ، فالتنويه بقوة الحصون يناسبه اسم المفعول من الرباعي المضعف "شيد" فالتضعيف يدل على تكرار حدوث الفعل حتى يتم على الوجه الأكمل .

فإذا كان السياق لا يقتضي المبالغة في قوة هذه القصور وشدة تشييدها جاء الوصف باسم المفعول من الثلاثي شاد على وزن مفعول ، كما في قوله تعالى ﴿ فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ﴾[2] فوصف القصر هنا بـ"مشيد" اسم مفعول من شاد ، أي مرفوعة أو مجصصة أفاد مجردا لوصف بهذه الصفة وليس المبالغة فيها ؛ لأن السياق لا يقتضي المبالغة، فهو حديث عن إهلاك القرى بظلم أهلها فأصبحت الآبار معطلة غير مستعملة ، والقصور الفارهة المزخرفة خالية لا يوجد من يسكنها بعد أن أهلك الله أهلها .

ونلاحظ أن "بئر" وصف أيضا باسم المفعول "معطلة" من الرباعي المضعف عطّل ، ولا يدخل معنا في الحديث عن زيادة المعنى لزيادة اللفظ ؛ لأن فعله

---

١ ـ انظر البيتين في معجم مفردات ألفاظ القرآن: ٣٩ .

٢ ـ سورة الحج : ٤٥ .

الثلاثي "عطل" لا زم لا يأتي منه اسم المفعول ، والشرط أن يكون متعديا قبل التضعيف ، ولكن التعبير باسم المفعول له دلالة من طريق آخر، وهو أن المقام اقتضى اسم المفعول "معطلة" دون اسم الفاعل عاطلة ، "فمعنى المعطلة أنها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء إلا أنها عطلت أي تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها.[1]

ومعنى عاطلة ؛ أن البئر نزح لا ماء فيها ، فالعطل في البئر نفسها ، وهذا المعنى لا يدل على إهلاك أهلها ، وليس فيه إشارة إلى وقوع فعل التعطيل عليها .

ونعود إلى آية النساء ﴿ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ وقد ذكرنا أن معنى البروج القصور والقلاع ، وذكر الراغب الأصفهاني معنى آخر مع هذا المعنى وهو بروج السماء ، ووصفت بالمشيدة على سبيل الاستعارة التمثيلية ، وذلك في قوله "يصح أن يراد بها بروج في الأرض وأن يراد بها بروج النجم ، ويكون استعمال لفظ المشيدة فيها على سبيل الاستعارة ، وتكون الإشارة بالمعنى إلى نحو ما قال زهير :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه * ولو نال أسباب السماء بسلم.[2]

ومما جاء فيه اسم المفعول من الرباعي قوله تعالى: ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة... ﴾.[3]

---

١ ـ حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي ٣٨٨/٣ .

٢ ـ معجم مفردات ألفاظ القرآن: ٣٩ .

٣ ـ سورة الحج: ٥ .

تكشف الآية عن برهان ساطع وحجة دامغة في إثبات البعث ، فذكرت أطوار خلق الإنسان ثم مراحل نموه بعد ولادته إلى أن يصل أجله المحتوم ، وهذه الأطوار تدل على عظيم قدرة الله سبحانه الذي خلق فسوى ، ويستدل بها على حقيقة البعث وأنه واقع لا شك فيه ، وصدق سبحانه إذ قال ﴿ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾.(١)

وموضع حديثنا في الآية هو وصف المضغة بـ"مخلقة وغير مخلقة" على صيغة اسم المفعول من الفعل خلّق الرباعي ، وقد ذكر المفسرون خمسة أقوال في معنى مخلقة ؛ "أحدها أن المخلقة ما خلق سويا، وغير المخلقة ما ألقته الأرحام من النطف وهو دم قبل أن يكون خلقا ، قاله ابن مسعود " والثاني أن المخلقة ما أكمل خلقه بنفخ الروح فيه وهو الذي يولد حيا لتمام ، وغير المخلقة ما سقط غير حي لم يكمل خلقه بنفخ الروح فيه ، هذا معنى قول ابن عباس . والثالث أن المخلقة المصورة وغير المخلقة غير مصورة ، قاله الحسن . الرابع أن المخلقة وغير المخلقة السقط تارة يسقط نطفة وعلقة وتارة قد صور بعضه وتارة قد صور كله ، قاله السدي . الخامس أن المخلقة التامة وغير المخلقة السقط ، قاله الفراء وابن قتيبة". (٢)

ووصف المضغة بمخلقة دون مخلوقة مطابق لتصوير تعدد الخلق من المضغة ؛ فهذه المضغة يخلق منها أعضاء الإنسان المتعددة والمتنوعة وكل عضو له وظائفه وصورته ومكانه ، وهذا خلق متعدد ناسبه اسم المفعول من

---

١ ـ سورة يس: ٧٨ ـ ٧٩ .

٢ ـ زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ط المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ـ دمشق، ط أولى ١٩٦٥ الجزء الخامس ٤٠٦ ـ ٤٠٧ .

الرباعي خلَّق "فاللفظة بناء مبالغة من خلَّق ، ولما كان الإنسان فيه أعضاء متباينة وكل واحد منها مختص بخلقٍ حَسُنَ في جملته تضعيف الفعل ؛ لأن فيه خلقا كثيراً"[1] فالمضغة مخلقة لتعدد أطوار خلقها، وليست مجرد مخلوقة ، "فما تتابع عليه الأطوار فقد خلق خلقا بعد خلق ، وإذا كان نطفة فهو مخلوق ؛ ولهذا قال تعالى ﴿ ثم أنشأناه خلقا آخر ﴾ والله أعلم".[2]

وقدم ذكر المخلقة على ذكر غير المخلقة على خلاف الترتيب في الوجود لأن المخلقة أدخل في الاستدلال ، وذكر بعده غير المخلقة لأنه إكمال للدليل وتنبيه على أن تخليقها نشأ عن عدم ، فكلا الحالين دليل على القدرة على الإنشاء وهو المقصود". [3]

ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿ جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ﴾[4] فأبواب الجنات مفتحة وليست مفتوحة فقط، أي فتحت أبوابها مرة بعد مرة تكريما للمتقين واحتفالاً بقدومهم ، فالأبواب لا تفتح لهم مرة بل تفتح لهم مرات، "كلما أرادوا انفتاحها انفتحت لهم، وكلما أرادوا انغلاقها انغلقت لهم"[5]

وصيغة اسم المفعول من الرباعي "مفتحة" تقرر المعنى المفاد من دخول الواو على فتحت في قوله تعالى : ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا ، حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها... ﴾[6] فأبواب الجنة مفتحة قبل مجيء المتقين

---

١ ـ تفسير الثعالبي الموسوم بجواهر الحسان في تفسير القرآن ٧١/٣ ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

٢ ـ تفسير القرطبي ٩/١٢ ط وزارة الثقافة مصر مصورة عن طبعة دار الكتب ١٩٦٧ .

٣ ـ التحرير والتنوير ١٩٨/١٧ ـ ١٩٩.

٤ ـ سورة ص : ٥٠ .

٥ ـ تفسير الفخر الرازي المجلد التاسع: ٤٠٢ .

٦ ـ سورة الزمر: ٧٣ .

إليها تعظيما لهم وسروراً بقدومهم .

وقيل إن "تفتيح الأبواب كناية عن التمكين من الانتفاع بنعيمها ، لأن تفتيح الأبواب يستلزم الإذن بالدخول ، وهو يستلزم التخلية بين الداخل وبين الانتفاع بما وراء الأبواب".[١]

ومن زيادة المعنى لزيادة اللفظ قوله تعالى في وصف المنافقين : ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا. مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ﴾.[٢]

تكشف الآيتان عن بعض قبائح المنافقين ، فهم يفعلون مع الله ما يفعل المخادع ، والله سبحانه يعاقبهم على جرمهم فيفعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع ، حيث أملى لهم في الدنيا بتمتعهم بما يجرى على المسلمين ، وأوقع عليهم أشد أنواع العذاب في الآخرة ومن قبائح سلوكهم التكاسل عن أداء الصلاة والرياء وقلة ذكر الله والتردد والاضطراب بين المؤمنين والكافرين ، ﴿مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﴾ قال الراغب الأصفهاني : الذبذبة : حكاية صوت الحركة للشيء المعلق ، ثم استعير لكل اضطراب وحركة ، قال تعالى: ﴿ مذبذبين بين ذلك ﴾ أي مضطربين مائلين تارة إلى المؤمنين وتارة إلى الكافرين"[٣] فالمنافقون عليهم اللعنة لا اعتقاد لهم ، فهم لا ينتسبون إلى المؤمنين ولا ينتسبون إلى الكافرين ؛ لأنهم لا يدينون بدين المؤمنين ـ وهو الحق ـ ولا يدينون بدين الكفار وهو الباطل ، وإنما تتحكم في

---

١ ـ التحرير والتنوير ٢٣/٢٨٢ .

٢ ـ سورة النساء ١٤٢ ـ ١٤٣ .

٣ ـ معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ١٧٩ ـ ١٨٠ .

سلوكهم المنافع المادية ، فتجدهم مع المؤمنين إذا كان هناك نفع يعود عليهم ، وتجدهم مع الكافرين إذا أيقنوا أن النفع في جانبهم ﴿ الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم، وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين. ﴾ [1]

وقد صورت لفظة "مذبذبين" طبيعة المنافقين تصويرا دقيقا ، فالمنافقون لم يفعلوا الذبذبة - أي الذود والطرد - وإنما فعل بهم ذلك فاعل وهو الشيطان ، فهو مسيطر عليهم ، متمكن منهم ، وهم مسلوبو الإرادة لا يستقرون على حال. فـ"مذبذبين" بصيغة اسم المفعول. يقتضي فاعلاً قد ذبذبهم وصيرهم متحيرين مترددين ، وذلك ليس باختيار العبد"[2] وكون المنافقين يفعل بهم التردد والاضطراب أدل على تمكن هذه الصفة فيهم وبلوغها الغاية لاسيما إذا كان الفاعل هو الشيطان من كونهم يفعلون ذلك بأنفسهم..

وبالإضافة إلى ما سبق من دلالة اسم المفعول فإن "مذبذبين" اسم مفعول من الرباعي المضعف، والتكرير في الفعل يدل على التكرير في المعنى أي أن الشيطان يفعل بهم الذبذبة مرة بعدمرة ، قال الرازي "وحقيقة المذبذب الذي يذب على كلا الجانبين أي يرد ويدفع فلا يقر في جانب واحد ، إلا أن الذبذبة فيها تكرير وليس في الذب".[3]

ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿ نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة . إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة ﴾.[4] فوصفت العمد الموثوق فيها الهمزة

---

١ ـ سورة النساء: ١٤١ .

٢ ـ تفسير الفخر الرازي المجلد الرابع: ٢٥٠ ,

٣ ـ السابق: ٢٤٩ .

٤ ـ سورة الهمزة : ٦ ـ ٩ .

اللمزة بـ"ممددة" اسم مفعول من الرباعي المضعف مدّد مبالغة في تهويل العذاب وفظاعته . وقد جاء اسم المفعول من "مدّ" الثلاثي في وصف ظل أهل الجنة في قوله تعالى: ﴿ في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود ﴾[١] ، وفي وصف مال الوليد بن المغيرة في قوله تعالى: ﴿ وجعلت له مالا ممدودا ﴾.[٢] ؛ لأن المقام قصد به حصول الفعل من غير مبالغة فيه.

## خاتمة:

فبعد هذه الصحبة الطيبة المباركة مع صيغة اسم المفعول فى القرآن الكريم تبين لنا من خلالها أن صيغة الكلمة تضفى عليها دلالة فوق دلالتها المعجمية ، وتجعلها توحى بمعان غير منطوقة ، وأن كل صيغة لها سياقها ومقامها بحيث لا تصلح صيغة أخرى فى موضعها، والتعبير البليغ هو ما تجد فيه كل لفظ وضع فى موضعه الأخص به ، وكأن اللفظ خلق لهذا الموضع ، وهذا هو شأن بلاغة القرآن .

وظهر من خلال الدراسة أن معظم ما جاء فى القرآن الكريم على صيغة اسم المفعول يدخل تحت حذف الفاعل للدلالة على تعينه ؛ لأن الفعل لا يصدر إلا منه ، أو للإشارة إلى عموم الفاعل وأنه لا يختص بواحد دون آخر ، أو للإشارة إلى أن ذكر الفاعل لا يتعلق به غرض ؛ فالمقصود وقوع الفعل على المفعول ، كما ظهر أن هناك مقامات عبر عنها بصيغة اسم المفعول لتحقيق نكتة خاصة اقتضاها المقام .

---

١ ـ سورة الواقعة: ٢٨ ـ ٣٠ .

٢ ـ سورة المدثر : ١٢ .

وتأكد من خلال الدراسة أن اللفظة فى القرآن عنصر هام من عناصر بلاغته ، فبلاغة القرآن تقوم على لفظ حامل ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم[1]، وقد بلغ القرآن غاية الحسن ونهاية الكمال فى هذه العناصر مجتمعة ، وحاولت هذه الدراسة الكشف عن بعض أسرار الصيغة فى القرآن ، وتبين أن اللفظة فى القرآن ـ بما فيها من دقة وإيحاء ، وتناسق وانسجام ـ معجزة من معجزات البلاغة القرآنية .

وهذه الدراسة لم تستقص صيغة اسم المفعول فى القرآن ، ولم تحصرها فى عدد معين؛ لأن هذا ـ مع أهميته ـ ليس هدف هذه الدراسة ، فهو يدخل تحت الدراسة المعجمية لصيغ القرآن الكريم ، ومن الممكن أن يدرس تحت عنوان "معجم اسم المفعول فى القرآن" ، وهذا عمل جيد ومفيد، وربما أتيح الوقت لمعالجته .

أما هدف هذه الدراسة فهو الوقوف مع المقامات التى كان من الممكن أن يفاد أصل المعنى فيها بصيغة اسم الفاعل أو بالفعل المبنى للمجهول ، فلم عدل عن اسم الفاعل أو الفعل إلى صيغة اسم المفعول؟ وما السر البلاغى فى هذا العدول ؟ . وهذا من صميم البلاغة ؛ لأنها تكمن فى المعانى الثوانى ؛ أى دقائق المعنى وصورته ، أما أصل المعنى فيفاد بأى تعبير ، بل يفاد بالرمز والإشارة .

فالله سبحانه أسأل أن يغفر لى ذلة العقل وهفوات اللسان ، وأن يجزينى بقدر صدق نيتى فى خدمة كتابه الكريم ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى الكريم .

---

١ ـ ينظر البيان في إعجاز القرآن للخطابي ص : ٢٧ .

## المراجع:


١ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٢ - الإكسير في علم التفسير ، الطوفي . ت . د. عبد القادر حسين - المطبعة النموذجية .

٣ - الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، ابن المنير الإسكندري، دار الكتاب العربي - بيروت .

٤ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، البيضاوي ، المطبعة العثمانية - تركيا.

٥ - البحر المحيط ، أبو حيان ، دار الفكر للطباعة والنشر.

٦ - بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية . دار الكتاب العربي - بيروت .

٧ - البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي ، ت . محمد أبو الفضل إبراهيم - عيسى الحلبي .

٨ - البيان في إعجاز القرآن ، الخطابي - ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن . ت . محمد خلف الله، محمد زغلول سلام - دار المعارف .

٩ - التبيان في علم المعاني والبديع والبيان ، شرف الدين الطيبي . ت د . هادي عطية - عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية - بيروت .

١٠ - التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للطبع والنشر.

١١ - تفسير الثعالبي الموسوم بجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت .

١٢ - الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، وزارة الثقافة - مصر ، مصورة عن طبعة دار الكتب ١٩٦٧ .

١٣ ـ حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي ، شيخ زادة ، المطبعة العثمانية ـ تركيا .

١٤ ـ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قراءة وتعليق محمود شاكر ـ نشر مكتبة الخانجي ـ القاهرة .

١٥ ـ روح المعاني ، الألوسي ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

١٦ ـ زاد المسير في علم التفسير ، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ـ دمشق ١٩٦٥ .

١٧ ـ علم المعاني ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود ، الجزء الأول ـ مطبعة السعادة .

١٨ ـ الكشاف ، الزمخشري ، دار الكتاب العربي ـ بيروت .

١٩ ـ لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ـ بيروت .

٢٠ـ المثل السائر ، ابن الأثير ، ت . د. أحمد الحوفي ، د. بدوي طبانه ـ دار نهضة مصر .

٢١ ـ معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، الراغب الأصفهاني ، دار الفكر ـ بيروت .

٢٢ ـ معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، ت . عبد السلام هارون ـ مكتب الإعلام الإسلامي ـ إيران.

٢٣ ـ مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي . دار إحياء التراث العربي ـ بيروت لبنان ، ط أولى ١٩٩٥.